

مَذْهَبُ الْيَزِيدِيَّةِ

مَذْهَبُ الْيَزِيدِيَّةِ

بقلم أ. سُهِيل قَاشَا
مراجعة جوزيف أ. قزي

دار لأجل المعرفة
ديار عقل - لبنان

٢٠٠٣

سلسلة الأديان السريّة

١. العقيدة الدرزيّة، أنور ياسين؛ ١٩٨٩؛ ١٥٨ ص. ٦ \$.
٢. تعليم الدين الدرزي، مخطوط سؤال وجواب؛ نشره وعلّق عليه أنور ياسين؛ مترجم إلى الفرنسيّة؛ ٤٧+49 ص. ٣ \$.
٣. النّبّي محمّد في العقيدة الدرزيّة؛ وهو الرسالة ٧١ من رسائل الحكمة؛ نشرها وعلّق عليها وترجمها إلى الفرنسيّة أنور ياسين؛ ٤٠+38 ص. ٣ \$.
٤. العجل والشّيصبان في العقيدة الدرزيّة؛ أنور ياسين؛ مترجم إلى الفرنسيّة؛ ٤٠+46 ص. ٣ \$.
٥. رسالة درزيّة إلى النصيريين؛ وهي الرسالة ١٥ من رسائل الحكمة؛ نشرها وعلّق عليها وترجمها إلى الفرنسيّة أنور ياسين؛ ٣٥+45 ص. ٣ \$.
٦. تعليم الدين العلوي؛ مخطوط في سؤال وجواب؛ نشره وعلّق عليه أنور ياسين؛ ١٩٨٦؛ ١١٢ ص. ٣ \$.
٧. كتاب الباكورة السليمانيّة في كشف أسرار الديانة النصيريّة؛ تأليف سليمان الأذني؛ ١١٢ ص؛ ٣ \$.
٨. وجهة نظر مسيحيّة في الإسلام؛ أجوزف قزّي، مترجم إلى الفرنسيّة؛ ٢٠٠٠؛ ٤٦+46 ص؛ ٣ \$.

مقدمة

عُني الباحثون، من عرب ومستشرقين، باليزيدية / الإيزيدية، عنايةً كبيرة . فكتبوا في أحوال ماضيها وحاضرها، معتقداتها وتقاليدها، مجتمعاها الروحي والزمني أبحاثاً عديدة، بالرغم من أنها فرقة دينية قليلة العدد، فقيرة الحال . يقطن أبنائها اليوم في قرى قضاءي الشيوخان وسنجار التابعين لمحافظة نينوى «الموصل» من شمالي العراق، وفي بعض أنحاء شمال سورية، وجنوب تركية، وفي مواطن أخرى من إيران والقفقاس والمهجر.

واختلف الباحثون في تقدير عدد اليزيدية في العالم . وسبب ذلك نقص في الإحصاء ؛ إذ لم يكن يجري في مناطقهم إحصاء دقيق مقبول . فمن الباحثين من تهادى في رفع عددهم، ومنهم من نقص ؛ ولعل أقرب الأرقام إلى الواقع هو أنهم يبلغون اليوم زهاء الربع مليون نسمة أو أقل بقليل.

وكما تضاربت أقوال الباحثين في عدد نفوس اليزيدية، فقد تضاربت في تعليل تسميتهم. ونظير ذلك إختلافهم الكبير في بيان منشأ ديانتهم. منهم من حاول إرجاعهم إلى أصول مجوسية

قديمة، أو زرادشتية، ممّا كان شائعاً في بعض أنحاء الشرق الأوسط قبل الإسلام؛ ومنهم من عزا بعض معتقداتهم إلى أحوال نصرانية؛ ومنهم من رأى أنّهم لا يعدون أن يكونوا فرقة إسلامية غلّت فضلت وزاغت عن أصلها القديم، وتمادت في الابتعاد حتّى انتهى أمرها إلى ما هي عليه اليوم.

واليوم، بناءً على طلب صديق، أقدمتُ لوضع هذه الرسالة المتواضعة مسلّطاً حزمة ضوء كاشف عن أحوال هذه الجماعة الدينيّة، في معتقداتها وأحوالها، وفي مجتمعتها، وعاداتها وتقاليدها، وفي تاريخها، قديماً وحديثاً، علّنا نُروي لهفة المتتبّعين من الدارسين والمتحقّفين، ونقف على ما كُتب عنها وعليها.

الفصل الأول

واقع الإيزيدية

تتألف الإيزيدية من منظومة شعائر دينية، وكثير من الطقوس والعادات والأعياد. ولها نظرة خاصة في تكوين الخليقة، وفي الظواهر الطبيعية والاجتماعية. وعندها هرمية الطبقات، وتنظيم العلاقات الاجتماعية، وخصوصية في الأسماء والملابس، كما لها لغتها، وتعاملها بالتقويمين، الشمسي والقمرى معاً.

وهناك أيضاً مئات الإشارات من أسماء وحالات وعلاقات بين الديانة الإيزيدية والأديان الأخرى، تحتاج إلى بحث وتمحيص في جذورها التاريخية : لماذا ينعنون الإيزيدية بـ «عبد الشيطان»، وأحياناً بـ «داسني»، أو بـ «ديوبه ريس»؛ وهي تعني الشيء نفسه! ومن هو «طاووس ملك»، ومتى ظهرت فكرته، هو أحد الأركان الأساسية للديانة الإيزيدية؟!...

لقد اكتشف أحد الباحثين، (لافاري نابو الألماني)، في اللغات القديمة السومرية الأكادية البابلية الآشورية، بأن كلمة (إيزيدي) تعني الروح الخيرة لغير الملوئين، الذين يسировون على صراط مستقيم . ويقول بأن تاريخ الإيزيدية يرجع إلى الألف الثالث قبل

الميلاد، وهم من بقايا أقدم ديانة عرقية من منطقة الحضارات العظمى أرض سومر، أي من بقايا ديانة سومرية-بابلية قديمة^(١).

ويشير الباحث نفسه إلى ثلاثة من أكبر آلهة اليزيدية، ورد ذكرهم في تاريخ تلك الحضارات القديمة الأولى وهم :

١. (شيخ شمس)، وهو إله الشمس، وبالسومرية (دينكير أوتو)، ويدعى باللغة البابلية (شماش). وبحسب روايته، أن (شيخ شمس) هو نفسه (طاووس ملك) ممثّل الإله على الأرض، ويظهر شكل الشمس حينما يفرش الطاووس ريشه.

٢. والثاني هو (شيخ حسن)، إله القمر، وهو من آلهة ما بين النهرين، واسمه (نانا) بالسومرية، و(سين) بالبابلية، وهو إله الخصوبة عند النساء.

٣. والثالث (شيخ آدي)، إله المطر والخير والبركة، واسمه (إيم) بالسومرية، ويُلَفِّظ بصور مختلفة في بلدان ما بين النهرين، مثل : (أدد، أدّي، أودونوخ، حدد، حداد، عاد، عادي...) . كان الآشوريون يكرّمون الإله أدد . وله عندهم مكانة خاصة^(٢). وورد

(١) لافاري نابو الالماني، نشرة كتبها عن الازيدية مقدمة الى المعاهد العلمية الخبيرة باللغات القديمة؛ مركز البحوث لعلوم الآثار: اللغات، سلالة الشعوب، مدينة فورنشتاين / المانيا ٧ / ٨ / ١٩٩١.

(٢) لهذه المكانة الرفيعة التي للآله أدد عند الاشوريين، أطلقوا اسمه على أحد

واقع الإيزيدية ٩

ذكره كثيراً في كتاباتهم على جدران معبده في منطقة وادي لالش (شمالي الموصل)، حيث فيه نقوش ورسوم ترمز إلى شعائر الأديان العراقية القديمة (السومرية والبابلية)^(٣).

إنّ الإكتشاف هذا يعتبر مفتاحاً لفكّ غموض العديد من أسرار الديانة الإيزيدية ، والتقرّب من معرفة أصولها التاريخية ، وتصويب بعض المغالطات التي تشوّه حقيقة أمور هذه الديانة^(٤).

اعتقد الأولون بأنّ اسم الإيزيدية / اليزيدية قد ورد لأول مرة في القرن الحادي عشر لدى أبي منصور عبد القادر بن طاهر البغدادي المتوفي عام ٤٢٩هـ / ١٠٢٣م. وفي كتاب الشهر ستاني المتوفّي عام ١١٥٣م. ثمّ في سياحتنامه، أوليا ال لبي المتوفي عام ١٦٨٠م^(٥).

أمّا الكتاب العرب المسلمون فيقطعون الشكّ باليقين ويقولون إنّ اليزيدية ليسوا إلاّ فرقة منشقة عن الاسلام ترجع إلى مؤسسها

ابواب عاصمتهم العظمى نينوى. آثاره ما زالت قائمة إلى اليوم.

(٣) لافاري نابو، المصدر السابق.

(٤) الدكتور سامي سعيد الاحمد، اليزيدية أحوالهم، معتقداتهم، الجزء الاول،

بغداد (١٩٧١) ص ٢٧.

(٥) الدكتور عثمان ممّو وفرمان، ضوء على الديانة اليزيدية، بحث نشر في

مجلة الثقافة الجديدة، العدد ٢٤٣ آذار ١٩٩٢، ص ١٠٢.

يزيد بن معاوية الأموي^(٦).

يلاحظ عند الإيزيدية تعدد الآلهة، الذي يرتبط بالظواهر الطبيعية القويّة والقاسية على الانسان، مثل الأمطار والفيضانات، والرعود والبروق، والهزّات الأرضيّة، النور والظلام، المرض، الصواعق، الشمس والقمر والكواكب...

والإيزيدية «ليست ديانة تبشيرية وتوسّعية كالاديان التوحيدية، بمعنى يولد الإيزيدي من أبٍ وأمٍ إيزيديّين. ولا تقبل في صفوفها من كان على دين آخر.

ويُطرَد كل رجل، أو امرأة، يتزوَّج من دين غير الإيزيدية. والإيزيديون أنفسهم لا يتزاوجون جميعهم فيما بينهم، بل توجد خمس مجموعات متباينة، تتزاوج كل مجموعة، أو طبقة، فيما بينهم، وهذه الطبقات هي: (الأدانية، الشمسانية، القاتانية، اليرانية، المريد).

(٦) أحمد تيمور، اليزيدية ومنشأ نحلّتهم، ط ٢، ص ٥٧. عبد الرزاق الحسني، اليزيديون في حاضرهم وماضيهم، ط ٧ (١٩٨٠)، ص ١٥...

الإيزيدية وفكرة «طاووس ملك»

تكاد تكون مسألة، طاووس ملك أو إبليس، كما ينعتة المخالفون للديانة الإيزيدية، من أعقد المسائل التي عالجتها ميثولوجيا الشعوب والأديان. وهي قديمة قدم ظهور الأفكار الدينية.

تقول نظرية أوهميريزم Euhemerism التي ظهرت حوالي ٣٠٠ سنة قبل الميلاد بأن الآلهة الكلاسيكية ليست غير ملوك وأبطال وطنيين، ألّهم أقوامهم. ومن هذا المنظور من الممكن بحث ظاهرة (طاووس ملك) وبقية آلهة الإيزيدية حيث إن إطار الإسطورة هو النظرة إلى الكون كدولة، فلا عجب أن نرى جمعاً غفيراً من الآلهة، موكل لكل منهم شأن من شؤون هذا الكون «الدولة».

هنالك مجمع الآلهة، على رأسهم طاووس ملك. إنه تارة من ذات الله، وطوراً رسولا إلى العالم. نراه يتزوج، وتظهر له ذرية. كما يحدث صراع بينه وبين من هو أكبر منه شأنًا فيضع نفسه عرضة للعقاب أو للإساءة.

وأخيراً، وبما أن الإيزيدية تؤمن بتناسخ الأرواح، فليس من المستغرب أن يظهر طاووس ملك لديهم، أو عند غيرهم من الشعوب بأسماء عديدة.

لقد استرعى دراسة الديانة الإيزيدية إنتباه أغلب الباحثين من العرب والأجانب، وخصّصوا دراسات مستفيضة، إعتباراً من أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين حتّى اليوم. وبذل الدكتور سامي سعيد الأحمد العراقي من بين الباحثين العرب جهوداً علمية كبيرة في جمع أكبر عدد من المصادر والآراء التي بحثت عن فكرة طاووس ملك^(٧).

يضع الدكتور الأحمد لـ «طاووس ملك» أسماء عديدة، ويعتقد بأن «يزدان» في الاعتقاد اليزيدي قد يمثّل (زرقان) في الزردشتية المتأخّرة، والذي انبعث منه كلُّ من أهورامزدا وأهريمان، (إلهي النور والظلمة، الخير والشر).

وبهذا من المحتمل أن يكون أهورامزدا هو طاووس ملك، ولكن أهريمان (عنكار angaramanyu) هو شيطان أخ له وربّ مثله تلزم عبادته. وقد يكون مستقلاً عن أهورامزدا، ولكن يشكّل معه وأبوهما (زرقان) ثالوثاً سماوياً^(٨).

ويربط بعض الباحثين عبادة اليزيدية وتقديسها لـ «سيسستان» (أي الشيطان) في شرق بلد فارس بقصة أحد الدعاة،

(٧) راجع كتابيه، الاول: اليزيدية احوالهم ومعتقداتهم. بجزئيه (بغداد ١٩٧١)؛ والثاني: الاصول الاولى لفكرة الشر والشيطان (بغداد ١٩٧٠).

(٨) د. خليل جندي، نحو معرفة حقيقة الديانة اليزيدية، مجلة لالش، عدد ٥ (آب ١٩٩٢)، دهوك، ص ١٦.

واسمه «هاتلاك» (أو حانلالا) الذي حكم بلاده لمدة طويلة . وبعد وفاته، خلفه ابنه القليل الخبرة، فاستغله الشيطان، ودخل شجيرة توت، ودعاه إلى عبادة أمير الظلام. وتبدأ المعركة بين الاثنين بسبب رفض الأول. إلا أنه في الأخير ينتصر عليه الشيطان ويقتل الملك الصغير. وبذلك تظهر عبادة الشيطان^(٩).

وتقول نظرية أخرى بأن العقيدة الإيزيدية ما هي إلا تأكيد على عبادة النور. وتمثل حقبةً للثنوية الفارسية القديمة التي نراها واضحة المعالم في الزردشتية والمانوية، وأن طاووس ملك لا يمثل أبداً مبدأ الشر، بل على العكس يرمز عندهم لنكران الشر بكل صوره. وهو يشكل جزءاً رئيسياً من الخطة الربانية للعالم، وأن الشر قد اعترف به كضرورة، وأن طاووس ملك، على رأي تيودور منزل، «هو رب الخير، وإن كان نفسه (الشيطان)، وإن الإيزيدية لا تعتقد بأن الله قد أعفا عنه أو سيعفوا عنه على رأي البعض»^(١٠).

ويؤكد باحثون آخرون بأن اسم طاووس ما هو إلا تحويل اسم (تموز) الإله البابلي المشهور^(١١).

(٩) د. خليل جندي، المصدر نفسه، ص ١٦-١٧.

(١٠) Max Horten, Die Philosophie des Islam (München 1924) p(١٠)

- Theo Menzel, Yazidi Encyclopedia of Islam (London V,P.

1165 B. Leiden 1813-1938,

- R.H.W. Enpson, The cult of peacock Angel, London 1928; 25

Mark Lidzbarsky, Ein Expose der Yesiden. ZDMG (1897); (١١)

وقد ربط الباحث أرشييالد سايس إسم طاووس بـ «تْيُوس» Theus أو تواس، والذي عُرف، على حدّ قوله، في أماكن كثيرة، كزوج لميرينا Myrina ؛ وأبناؤه أدونيس Adonis ، وميرراً Myrrha ، وسُميرينا Smyrina . وبذلك، فإنّ تاوز-تواس، في تقويم حرّان، على حدّ اعتقاد البعض، مطابق لتمّوز، وتاوز نفسها مطابق لطاووس. وعلى هذا فإنّ طاووس ملك، على حدّ زعم هذه المدرسة، يمثّل الإله تمّوز البابلي^(١٢).

ويذكر آخرون بأنّ طير طاووس عند الإيزيدية ما هو إلّا تعبیر للشمس (الشيخ شمس)، وهو عبارة عن تمّوز النبطيّين الأقدمين والإله الذي يتكلّم عنه حزقيال النبي^(١٣).

ويقول كثير من الباحثين بأنّ عبادة تموز-تاوز كانت

- pp. 592 ff.

- Alphonse Mingana, Devil Worshipers, Their Beliefs and their Sacred Books, JRAS. Vol 2 (1916) p. 515.

- J. W. Crowfoot, A Yazidi Rite Man (1901) No. 122, pp. 146-147.

- Hugo. Makas, Kurdische Studien (Heidelbe 1900) p. 35.

(١٢) تموز، هو إله الرعي ورب الماشية والخصب بينها عند البابليين. إلّا أنّ طاووس ملك هو رئيس الملائكة وآله الشمس والسماء عند الإيزيدية.

(١٣) يوسف أوفرد، اكتشاف صحيفة مسمارية، مجلة المشرق، بيروت، المجلد ٧ (١٩٠٤)، ص ٩١٠.

منتشرة في مناطق واسعة جداً في وادي دجلة ومنطقة سنجار حتى نصيبين.

ويحاول باحث آخر أن يعطي دليلاً أثرياً ويربط هيكل طاووس مع الطيور الاشورية المقدسة التي نراها في منحوتاتهم.

أما هنري لايارد، عالم الآثار الكبير، فيقول: «هذه الطيور هي نوع من العفاريت التي تفرض نفوذها على البشر، وترتبط مع الطيور في الديانة الزردشتية، التي يصفها زردشت بأنها قوى صادرة عن الإله. ويقال بأن أشكالاً من هذه الطيور كانت مصنوعة من الذهب موضوعة في مقرّ ملك بابل، ولها علاقة بالسحر»^(١٤).

وتعتقد طائفة الدروز بأن طير الطاووس كان الرسول الخادع لآدم وحواء. وهم يطلقون، أي الدروز، إسم الطاووس على مبتدعي المذاهب المخالفة لمبادئهم. وهذا نفس ما قام به زردشت. وربما يطابق طاووس الإيزيدية مع دوروزي doruzi ، أي العجل المقدس عند الدروز^(١٥).

(١٤) - Alphonse Mingana, op. cit. pp. 517 - 518.

- Henry Layard, Niniveh and it's Remains, Vol, 2, p. 46

- Bernhard H. Springett, Secret of Syria and the lebanon (١٥)

(London 1922, p. 25g)

-Madame Blavatsky. Isis unveiled, Vol 2, p. 571.

والإيزيديون، على رأي هذا الكاتب، يعبدون مبدأي الخير والشر فيعتقدون بالكائن الأعلى Ayid ، الذي اشتقّ منه اسم الإيزيديين.

ويمكن مقارنة ما جاء حول ذكر طاووس مع العجل عند الدروز، فيقول علي الشرقي بتشابه الطقسين^(١٦).

إضافة إلى كلّ هذه الآراء فقد صور الرومان الطاووس على نقودهم. أمّا اليونانيون فاعتبروه طير الإلهة هيرا (Hera) زوجة الإله زيوس ربّ الأرباب، وكانوا يعتقدون أنّ ذيل الطاووس يمثل فكرة الكليّة والتكامل.

والطاووس بالأصل طير هندي وصلّ عن طريق التجارة إلى إيران، ثمّ إلى وادي الرافدين، وصار يرمز إلى الخلود، والروح الطاهرة. وفي الأساطير الهندية فإنّها تمثّل العيون الكثيرة التي لا حصر لها، وتمثّل السماء ذات النجوم.. وما زالت قبيلة موري Mauri في أواسط الهند تعبد طير الطاووس.

وفي قصص الأنبياء عند المسلمين، هناك محاوراة بين الطاووس وإبليس^(١٧).

(١٦) علي الشرقي، اليزيديون أو اليازيدية، العرفان، المجلد ١١ (١٩٢٦)، ص ٦٠٧ وما بعدها.

(١٧) المزيد من التفاصيل ر: سامي سعيد الاحمد، اليزيدية ج ١، ص ٢٩-٤٥.

بقي أن نشير إلى أن الباحث (يوكارتسوف) الروسي^(١٨) أعطى رأياً علمياً حول فكرة طاووس ملك وقال: إن (طاووس ملك- الأب طاووس) هو أحد سيماء الألوهية، في وجهيها الخير والشرير. والخير، كالشر، في نظر الإيزيدية، إنما هو إظهار الرغبة الحرة الصادرة من الله. وبعد المصالحة العامة، ينتهي أمر الشر^(١٩). ويعتبر مينورسكي أن إطلاق كلمة (عبدة الشيطان) على الإيزيدية هي مسبة لهم. ومع هذا، فهي لا تعمل مشكلة لهم، على حدّ قوله^(٢٠).

(١٨) بحث عن الإيزيدية سنة ١٨٤٠، والبروفسور يكيازاروف حول الايزيديين، منشور في مدونات القسم القفقاسي للجمعية الجغرافية، المجلد ١٣، النشرة الثانية، (يوكارتسوف) سبع سنوات في الشرق (١٩٠٦). ويعتبر البروفيسور مينورسكي من الشخصيات العلمية المعروفة عالمياً شغل منصب مستشار في القنصلية الروسية في طهران وتبريز عام ١٩٠٤-١٩٠٨، قام برحلات استطلاعية شمال إيران. وفي كتابه الموسوم «الأكراد، ملاحظات وانطباعات»، باللغة الروسية عام ١٩١٥ في بتروغراد.

(١٩) بالعكس، أن مجرد لفظ «شيطان»، امام الايزيدي، يعني وهنته إهانة كبيرة تستحق العقوبة الصارمة، وأحياناً القتل أو المقاطعة (راجع ف.ق. مينورسكي، الأكراد، ملاحظات وانطباعات، ترجمة وتعليق الدكتور معروف خزندار، بغداد ١٩٦٨، ص ٤٥).

— R.H.W.Enpson, The Cult of Peacock Angel, op. cit. p.22. (٢٠)

ويستعطف سَكَّانُ بهار الهندية، وكذلك سَكَّانُ بعض مناطق جنوب الهند، إله الشرِّ والأرواح الشريرة أكثرَ من الأرواح الخيرة. وييجلُ الكازاخانيون وكارافيرغيزيا الشيطان، إلى جانب تبجيلهم لـ (خودا-الله).

كما أنَّ سَكَّانَ سخيْم وكِي ليلوْكْ واللامية في منطقة التبت الصينية، وبعض سَكَّانِ اليابان، وقدماء المصريين، وسَكَّانُ أفريقيا البدائيين، ييجلون الشيطان.

وكُتَّابٌ عديدون يذكرون في مؤلفاتهم نقلاً عن الإيزيدية، كونهم أبناء (شيت أو شهيد، أو شيد بن جرة). وقد يكون هو نفس الملاك شيرا الذي تعرَّض له زردشت وأراد الإساءة إليه. يعرف برئيس الملائكة، أي: طاووس ملك.

أما عند شعوب عديدة فيُطلق عليه أسماء مختلفة باختلاف لغاتهم، الحية والمندثرة، نذكر على سبيل المثال :

- اللغة السومرية : أنليل، أوتو، أوتودنكر (إله الشمس).
- اللغة الآشورية الكلدانية : ساتان (صطانا) بيشا، بيشو.
- اللغة البهلوية : شيدا.
- اللغات الإيرانية القديمة : بابِه دياوس (إله السماء).
- اللغة الهيتيتية، من لغات الهند القديمة : شَتَن.
- اللغة اليونانية القديمة : تيثوس أو هليوس، (إله الشمس).

- اللغة الرومانية : سول Sol (إله الشمس)
- اللغة الهندوسية : فارونا (إله السماء)
- اللغة العربية : إبليس، شيطان.
- اللغة الإيزيدية : عازايل (مَلَك الموت)، مه لكله موت، مَلَك الزين، طاووس مَلَك، بيرافات.
- اللغة النبطية القديمة : تموز (إله الشمس).
- اللغة المصرية القديمة : را، رع (إله الشمس)
- اللغة اليونانية الحديثة : لوسيفورس (حامل النور)^(٢١).

المعنى العام، أو الصفة المشتركة، بين الكلمات الواردة أعلاه هو البراعة والنشاطية الفائقة الذكاء والبداهة، أو الشخص المغرور والمعجب بنفسه. أمّا الصفة الثانية فهي الدلالة على معنى العفريت

(٢١) ما يسترعي الانتباه (إله الشمس) وكلمة راروز الكردية، وتحليل ذلك من الناحية اللغوية والمنطقية وعلاقة ذلك بعبادة وتقديس الايزيدية للشمس (طاووس ملك، الشمس النور، وهي اساس الرؤية والحركة - والعمل المثمر وبدونها تكون الحياة شبه مشلولة. ويشترك من جذر كلمة (روز) (ري) اي الطريق. ومن المتعذر سلوك اي طريق بدون وجود النور. وبهذا يقدّس الايزيديون طاووس مَلَك ويعبدون الشمس ويقفون بكل تبجيل في صلواتهم في حضرة الشمس ويقولون بان ديانتهم هي دين الطريق الصحيح (ديني ريباراست).

(ديو) إلى جانب إبليس و(شيطان)؛ والشرير هي الصفة الثالثة، وهو المعنى الأصلي والرئيسي الأول.

لا أحد ينكر بأن هذه الصفات تلتصق قاطبة بملك الإيزيدية؛ أما Peacock الطاووس فتعني الشخص المغرور والمعجب بنفسه، ومنه اللون الأزرق^(٢٢). ونعتقد بأن هذا هو السبب لعدم لبس الإيزيدية اللون الأزرق، ليس كرهاً به وإنما حباً وتقديراً لرمز ملاكهم.

طاووس ملك في الميثولوجيا الإيزيدية

تقول فلسفة الديانة الإيزيدية: إن الله، بعدما خلق الملائكة من ذاته، أراد أن يختبرهم، فقال لهم: لا تسجدوا لأحدٍ غيري. وكان ذلك (مشيئة الله). وحينما خلق الله آدم بعد كذا ألف سنة، أمر الملائكة أن يسجدوا لآدم (إرادة الله)، لاختبارهم، فسجد جميع الملائكة لآدم، ما عدا (عزرائيل). فقال له الله: لماذا لم تسجد؟ قال له:

(٢٢) راجع خدر سليمان (كوندياتي، تاليه كي ته نثروبولوجي) تقاليد القرية، جانب إنثروبولوجي، طبعة أولى، بغداد (١٩٨٥)، ص ١٣؛ وبحث الدكتور خليل جندي في جريدة (هه وكاري)، الصادرة في بغداد عام ١٩٧٧ باللغة الكردية.

قلتَ لنا، قبلَ كذا ألف سنة : لا تسجدوا لأحد غيري أولاً، وثانياً أنا من نور وآدم من تراب؛ فكيف يسجد النور للتراب؟ لذا عرفه الله أنه أذكى الملائكة ولم ينسَ مشيئته، فكافأه وجعله رئيساً للملائكة، (طاووس الملائكة).

وأعطاهم (طوقاً-توك Tok)؛ وهي عبارة عن فتحة في الثوب الذي يلبسه الرجال والنساء والأطفال الإيزيديون، تُقَصَّ وتُخِيطُ بايدي إيزيدية. وهي من علامات الإنسان الإيزيدي؛ وتسمى بـ (توكا طاووسي مَلَك) أو (توكا-إيزيد)، أي طوق طاووس مَلَك، و طاوق يزيد). وإيزيد هنا يعني (يزدان-الله).

وإلى سنين قريبة، حينما كان يرسم حول الانسان الإيزيدي دائرة يقال لها كيرائيزي geraezi دائرة وطوق إيزيد ويقسم باليمين أن يقول الصحيح فلم يخرج منها إلى أن يقول الحق، وإن استدعى ذلك قطع رأسه.

وتحتفل الإيزيدية كل عام بعيد رأس السنة (سه ري سالي) والذي يصادف أول أربعاء من شهر نيسان الشرقي^(٢٣)، وهو اليوم الذي خُلِقَ فيه (طاووس مَلَك) حسب معتقدتهم. وفي هذا اليوم من

(٢٣) خدر سليمان و خليل جندي، ثم يزدياتي، لبه رروشنايا هنده ك تيكستيد ثانيي ئيزديان (الايزدية، في ضوء بعض نصوصها الدينية)، بغداد (١٩٧٩)، ص ٨٦-٨٧.

كلّ عام ينزل ملاكهم من السماء للأرض ليتفقد أحوال قومه ويوزّع عليهم الخير والبركات^(٢٤).

يتوارد في أدب الإيزيدية الشفهي بأنّ (طاووس ملك) جالس في الجنة على شجرة باسم (هلhel)، ويوجد على باب الجنة أيضاً صورتان إحداها للحية والثانية لطير طاووس ملك.

ونسلم أحياناً من أنّ (بيرافات)، وهو إسم من أسماء (طاووس ملك)، رئيس الملائكة، ونور الشمس، وقوة الله، أو هو، بحسب رجال الدين الإيزيديون، إله الشمس نفسه.

تقدّس الإيزيدية طاووس ملك وتقول «ئه م ملله ثي تاووسي مه له كين»، أي «نحن قوم طاووس ملك». ويقولون: «ديانتنا هي من بين أقدم الديانات قاطبة، وأولها في معرفة الله». ولا ينطق الإيزيديون بكلمة (شيطان)؛ ويعتبر ذلك في عرفهم كفرًا ومسبةً لملاكهم، بل خروجاً عن الدين.

ويذهب الاعتقاد الديني الإيزيدي إلى أنّ منبع الخير والشرّ واحد. وهو من عند الله حيث يرد في الأدعية الإيزيدية: «ياره بي خيرا بده شه راوه ركه رين»، أي: «أيها الرب أعط الخير واقلب عنا الشرّ». وبهذا فإنّه ليس هنالك إله للخير وآخر للشر. بل إنّ النفس

(٢٤) ان المثل يقول: «ان النفس أمارة بالسوء» وبالتالي هي التي تتحمل كل العقوبات الدهرية الابدية.

الإنسانية هي المسؤولة عن الشرّ. لذا فإنّ الخير والشر يتلازمان في وحدة واحدة هو كيان الإنسان.

وتنعكس هذه الفلسفة بأجمل صورة في حوار أدبي شيق بين العين والقلب واللسان والنفس^(٢٥). في قول ديني إيزيدي، تقف الأعضاء الأربعة، أمام محكمة الباري ليدافع كلٌّ منها عن نفسه، ويبرئ ذمته من العمل الخاطئ الذي وقع فيه صاحبه. وفي الختام تخرج النفس هي المذنبة ومنبع الشر^(٢٦).

طاووس ملك والحية

بقي أن نعرف العلاقة بين طاووس ملك والحية؟

إنّ إلقاء نظرة على الأدب الشفهي الإيزيدي وتقاليد الإيزيديين ونقوشاتهم، يجعلنا نقول، بكلّ اطمئنان: نعم. هنالك علاقة. إلّا أنّ تفسيرها ربما تأخذ اجتهادات عديدة.

يرد في بعض الأساطير المتداولة بين الإيزيدية، بأنّ ثعباناً، ذا سبعة رؤوس، قد أغلق ينبوع مياه المدينة (٩). وأصبح أهاليها على

(٢٥) تذكرنا هذه الاسطورة بقصة مار جرجس والتنين..

(٢٦) منير البعلبكي، قاموس المورد، ص ٥٥٥.

وشك الموت عطشاً، ومزروعاتهم على وشك الجفاف. فيأتي بطل القصة (ميراز مهمد)، ويضرب بسهامه رأس الثعبان، فيظهر له رأسٌ ثانٍ، فيرميه بسهم، فيظهر رأسٌ ثالث، وهكذا إلى أن يقضي على الرؤوس السبعة، وتنجو المدينة من التتّين.

وتذكر أساطير أخرى بأن أهالي المدينة يقدمون فتاة كقربان للثعبان أسبوعياً، كي يحرك جسمه قليلاً، ويدع الماء تجري لاهل المدينة^(٢٧).

إذن ماذا تمثل الحية هنا؟!

ينظر البعض إلى الحية كقوة للخير. وتذكر القصص الإيزيدية بأن الحية هي التي أنقذت سفينة نوح من الغرق عندما وضعت نفسها في ثقب السفينة. وينظر الإيزيديون بعين التقدير، وأحياناً بعين التقديس للحية. فهي منقوشة في مراقدهم المقدسة، وخاصةً على الباب الرئيسي لمرقد (الشيخ عادي) في جبل لالش. وتقول الإيزيدية بوجود صورتين على باب الجنة، إحداهما للطير طاووس والثانية للحية.

يُعتبر (الشيخ مند)، ويُسمى بـ (مندي ماله)، أحد أولياء (خودان) الإيزيدية، ومن عائلة (الشمسانية)، شيخاً للأفاعي؛

(٢٧) د. سامي سعيد الاحمد، الاصول الاولى لافكار الشر والشیطان، بغداد

وأتباعه يمسون الحية دون أن تلدهم. و (مند) أو (منداله Mandala) هو رمز الكون عند الهندوسيين والبوذيين^(٢٨).

ويلاحظ في بعض الآثار والمنقوشات وجود الحية كحارس لخزائن الأموال والمجوهرات.

وأخيراً، إن الإيزيديين لا يقتلون الحية السوداء، وينظرون إليها بشيء من التقديس. ويعتقدون أنها لا تموت.

كل ذلك يدفعنا للاعتقاد بوجود علاقة بين طاووس ملك والحية - مند والشمس-. فإذا كان طاووس ملك يمثل رمز الكون وجمال المعبود، فإن الحية تمثل حكمته ودهاءه.

عبادة الإيزيدية للشيطان

أما الاعتقاد بأن الإيزيديين يتعبّدون للشيطان لأجل الخلاص من شره فليس إلا لأنهم لا يريدون أن يذكروه بسوء، أو بالإسم الذي أطلقه عليه أعداؤه، أي إسم «الشيطان»^(٢٩).

(٢٨) أكبر الظن هو نفسه (شيد شيدا) المعروف لدى الديانة الزرادشتية كآله للشر.

(٢٩) H.C. Luke. The Yezidies or Devil-Worship-pers of Mousl.

أما بشأن كلمة (عنكار-إنكار) الذي يبني عليه بعض الكتاب اعتقادهم على وجودها بين الإيزيدية ما هي إلا دليل على عبادتهم للشيطان.

و(عنكار-إنكار) هو إله الشر، أهريمن. وكان يسمى Ankrmanio عند الزردشتيين: أنكرا مانيو Angra Manyu . فكلمة عنكار عند الإيزيدية تطلق على كل إنسان عنيد لا يصغي إلى نصائح الآخرين. وهو، بالتالي، لا يمثل إلهاً، ولا كائناً ما في المعتقد الإيزيدي.

على كل حال، وحتى إذا افترضنا طاووس ملك هو نفسه إبليس أو الشيطان، فإن عبادته لم تكن غريبة في العصور القديمة. وعلينا أن نحكم على كل حادثة أو فكرة بحسب ظروفها التاريخية، وإلا تكون أحكامنا غير مبررة علمياً.

فـ (تيامات Tiamat)، التي تجسد الشر، كانت ربة العراق القديم. أنجبت الكثير من الأرباب. وأطلق العراقيون القدماء إسم آنو (رأس البانتيون البابلي) على الشياطين السبعة التي اعتبرت تيامات أشدها بطشاً، وأكثرها حولاً وقوة.

وقدس المصريون (سيت Set)^(٣٠). واعتبروه الشيطان،

The indian Antiquity Vol. 54 (1935) p. 95
Richard Coke, The Heart of Middle East, (London 1926).

(٣٠) الدكتور سامي الاحمد، المصدر السابق نفسه، ص ١١.

وقاربوه مع (أبوفيس Apophis، ألتعبان الفخم) و (التيفون Typhon،
الريح العاتية). وكان يعاون الربَّ (رَع Ra)، إله الشمس إثنان من
الشياطين، هما الشيطان الأحمر والشيطان الأسود.

ومن آلهة الهنود (مارا Mara) و (سيتالا Sitala) التي تظهر
تشابها مع الشياطين في المسيحية والإسلام والزردشتية^(٣١).

أمّا أهريمان كقوة شريرة في الديانة الزردشتية فقد تظهر
إليه بقدرسية تامة في الميثولوجيا أيضاً. ويعتقد توفيق وهبي بأن
الإيزيدية في الواقع ما هي الا استمرار للدين الميثولوجي الذي سادت
عبادته في مدينة الحضر Hatra^(٣٢).

(٣١) توفيق وهبي، احمد خالي، مجلة نكي كيتي تازة، عدد ٢، بغداد ١٩٤٣،
تشرين الثاني. والحضر: انقراض مدينة دعاها اليونان «هترا». شيدها
الفرثيون على الحدود الرومانية في القرن الاول. تقع على بعد ٤ كم من
وادي الشترار بين دجلة والفرات. كانت حصناً دفاعياً ضد الحملات
والتوسع الروماني ونقطة ومركزاً تجارياً هاماً على طريق سلوقية -
الحضر-سنجار-إنطاكيا. حاصرها سفيرس (١٩٨) عبثاً، وحاول
افيدوس كاسيوس قائد الاستيلاء عليها دون جدوى. وقفت في وجه
الامبراطور ترايانوس، ثم استسلمت له عام ١١٦. احتلها الساسانيون
عام ٢٢٦م. من اثارها: القصر، أو المعبد، وهياكل متعددة. فنّها مزيج من
التأثرات الاغريقية والشرقية. هندستها دائرية وهي محاطة بسورين.

(٣٢) الى جانب عبادة الالهة. توجد عند الإيزيدية تقديس روح الاجداد
والاسلاف. وتسمى د خوداني مالي. اي صاحب اصل العائلة. وان هذا

بعض آلهة الإيزيدية

للإيزيدية، عدد لا بأس به من الآلهة والخودان^(٣٣)، موكل إليهم شأن من شؤون الدنيا. سأحاول تدوين ما حفظته ذاكرتي من أسماء، مع ذكر وظائفهم؛ كما سأحاول تصنيفهم قدر الإمكان، حسب أقدمية ظهور تلك الآلهة من منظور تطوّر الفكر الإيماني الديني.

١. بيرافات، أو إله الطوفان والفيضانات.
٢. خاتونا فخران، إله الولادة عند النساء.
٣. شيخ عبروس، إله البرق والرعد.
٤. شاهسوار، إله الحرب والفروسية.
٥. ممن شفان، إله الغنم^(٣٤).
٦. عزرائيل، إله قبض الأرواح.
٧. كافاني زرزان، إله الأبقار.

يذكرنا بالشمانية ولربما (الشمسنة).

(٣٣) أكبر الظن أن (محن شظان) الإله الإيزيدي هو نفسه (آشفان)، أو مالك اشا الإله الهندي الإيراني الذي يبحث عن الحقيقة وقد اثنتى زرادشت على مبادئ (آشفان) في فلسفته.

(٣٤) لا يعتبر شيخ سن عند الإيزيدية آلهة للقمر كما كان الحال عند السومريين والبابليين. بل إن (ملك فخر الدين) هو آله القمر عند الإيزيديه.

٨. شيخ موس، إله الهواء وأمراضٍ ما يشبه الروماتيزم. تقول الإيزيدية في أوقات الحصاد والبيدر: «يا شيخ موس الأحمر! هبنا هواءً كثيراً فتخبز لك خبزاً أحمر». وعندما يصاب أحد الإيزيدية بالروماتيزم ويسمونه «الروماتيزم الأحمر»، فإنهم يلجأون إلى بيوت شيوخ شيخ موس للتشافي.

٩. ملك شيخ سن^(٣٥)، إله اللوح والقلم، وكذلك إله الهواء الأبيض، أحد أنواع الروماتيزم أيضاً.

١٠. ملك سجادين، إله قاصد الأرواح أو المرسل لأخذ الأرواح.

١١. ملك ناسردين، إله لجلد الرؤوس.

١٢. ملك فخر الدين، إله القمر والأمراض التي تصيب الأطفال عند بداية ونهاية ظهور القمر.

١٣. بابادين وآمادين، إلهما أوجاع البطن.

١٤. مهمد رشان، إله المطر. تقول الإيزيدية: «يا مهمد رشان! أهطل علينا المطر بغزارة».

١٥. هاجيال، إله المجانين.

١٦. ألو بكر، لأمراض الفم.

(٣٥) لم يذكر عن الإيزيديه ان (الشيخ عادي) هو اله المطر مثلما كان عند السومريين والبابليين والاشوريين؛ بل هو (الشيخ العام) عندهم. وأحياناً يظهر الادب الديني الإيزيدي الشيخ عادي في صورة الله. موضوع الشيخ عادي بحد ذاته بحاجة الى دراسة خاصة.

١٧. شرف الدين، لأمراض الجدري ويرقان الكبد.
١٨. بير جروان بير ويرقان الكبد.
١٩. شيخ مند، شيخ الأفاعي، يلجأ الناس الذين تلدغهم الحية إلى شيوخ الشيخ مند، للتشافي، سواء بقراءة الأدعية أو بامتصاص مكان اللدغة.
٢٠. بيرى لبنا، إله الزواج والأمنيات في عيد خدر الياس وخدر النبي الذي يصادف أواسط شهر شباط. يدعو كلُّ شابٍّ وشابّةٍ من (بيرى لبنا) أنْ يحققَ أملهم بالزواج ممَّن يُحبُّونه. فإذا ما شرب أحدهم في حلمه الماء في بيت الآخر، فمعنى ذلك، حسب اعتقادهم. سيتمّ زواجهم مستقبلاً.
٢١. درويش العرد (درويش الأرض)، إله الأرض، حيثما تزرع المزروعات، أو يدفن الإنسان، أو شيءٌ ما في الأرض، يقال إنّه سلّم إلى درويش الأرض.
٢٢. بابا كوكوش، لأمراض الأذن.
٢٣. كانياسبي (العين البيضاء)، محل عبادة الإله مهر الشمس وأناهيتا، أو هانيت، وهي ربة الينابيع والحياة الجارية^(٣٩).
٢٤. بيربوب، لأمراض الغالة (بالوك)

(٣٩) Taufiq Wahby, The Remanis of Mithrasim In Hatra and Iraqi-Kurdistan and It's Treces In Yazidism the Yazidis are not Devil Worshippers (London 1962. p. 13).

٢٥. شيخ شمس، إله الشمس، إله الخير والأرزاق والحرية. وهو من أكبر وأهم آلهة الإيزيدية شأنًا. يذكره الإيزيديون، ويتوجهون إليه يوميًا في صلواتهم عند الصباح والظهر والمساء. وتشعل العوائل الإيزيدية العريقة النار في بيوتهم وفي أماكنهم المقدسة، يومي الأربعاء والجمعة، وفي المناسبات الدينية. يمثل (شيخ شمس) الشمس على الأرض. وهو أيضاً أحد العناصر الأربعة المكوّنة للعالم.

ومن توابع (الشيخ شمس): سخري جن، أو جنتيار، وهو رئيس الجنّ-العفاريت. وحينما يُصاب أحد الأطفال بمرضٍ ما، يقولون بأنّ لديه غنيم، وهو مصاب بالجنّ، ويأخذونه إلى سخرى جن في بيت (الشيخ شمس) للتبرّك والتشافى.

إنّ إلقاء نظرة أوليّة على هؤلاء الآلهة ووظائفهم، تبرز ملاحظة وجود نوعين منها :

الأول: الآلهة الأنثوية (إله الأم): كعشتار إلهة بابل، وهيرا ملكة السماء في الميثولوجيا الاغريقية وأخت وزوجة (زيوس) وإلهة النساء والزواج.

والثاني: الآلهة الذكورية (إله الرجل) أو الأب.

نستنتج مما تقدّم ما يلي :

أولاً : إنّ الديانة الإيزيدية هي من بين الديانات (المعتقدات) البدائيّة العريقة، أي ديانة الظواهر الطبيعيّة، تستمدّ أصولها من معتقدات ما بين النهرين، وتحفظ بالكثير من تقاليد ومعتقدات الحضارات السومرية، البابليّة والاشورية. وهي من بقاياها.

ثانياً : إنّها ديانة مسالمة مغلقة على نفسها وليست تبشيرية. ولم تصبح يوماً دين الدولة. وأكبر دليل على انغلاقها على نفسها عدم الاختلاط مع غيرهم من ناحية الزواج، وعدم الاحتكاك بأيّة جماعة غير الإيزيدية.

ثالثاً : إنّ اعتماد الإيزيدية على التراث الديني الشفهي (علم الصدر) وعدم وجود كتبهم المقدسة (مصحف رشّ الرأس أي الأوّل)، وجلوه (أي الرؤيا). الأصليتان في متناول أيديهم)، جعلهم يخلطون بين الكثير من الأشياء: أسماء الملائكة وأدوارهم، المناسبات وتواريخها. أماكن أوليائهم... إلخ.

وبسبب الاضطهاد والتنكيلات ضدّهم، وسعيهم المستميت في الحفاظ على ديمومتهم، أخذت الإيزيدية، أو تأثرت ببعض العادات المسيحية والإسلامية.

الفصل الثاني

نشأة اليزيدية واسمها

من الصعب معرفة جذور (الإيزيدية/ اليزيدية) وأصل تسميتها، لإختلاف آراء الباحثين وتضاربها . ونحن هنا نستعرضها، علّنا نصل إلى رأي صحيح . من هذه الآراء :

١. يرى بعضهم أنّ أصلهم فارسي من جذور زردشتية، لتشابه بعض أصول معتقداتهم بها . ويرون أنّ اسمهم مشتقّ من كلمة «يَزْد» أو «إيزْد» الفارسية ومعناها «الله» أو «الروح الصالحة» . وقد تعود تسميتهم أيضاً إلى اسم مدينة تقع بين أصفهان وشيراز وكرمان، تدعى (يَزْد) وهي مدينة مقدّسة لدى الزردشتيين، وما زال فيها معبد نار يدعى «معبد النيران السبع» .

٢. ومنهم من يرى أنّ كلمة «يزيدية» ترتبط بخازن الملك خسرو . وكان يدعى «جزدین» وكان رئيساً للنساطرة، وقصره في ضاحية بلدان كرخ سلوخ (كركوك)^(١) .

(١) تبني هذه الفكرة غست وذكّر في كتابه The Yazidis . وظهر هذا الرأي في القرن التاسع عشر .

٣. وترى فئة أخرى أن نسبتهم ترجع إلى خارجي يدعى «يزيد بن أنيسة الخارجي»^(٢)؛ ذكره الشهرستاني فقال: إنه كان بالبصرة، ثم انتقل إلى أرض فارس، وكان يزعم «أن الله تعالى سيبعث رسولا من العجم، وينزل عليه كتابا قد كُتب في السماء، وينزل عليه جملة واحدة، ويترك شريعة المصطفى، ويكون على ملّة الصابئة المذكورة في القرآن وليست هي الصابئة الموجودة بحرّان وواسط»^(٣).

٤. على أن الفئة الأكثر شهرة هي التي تعزو نسبتهم إلى «يزيد بن معاوية»، الخليفة الأموي الثاني (٦٤٥-٦٨٣ م). ومع أن هذا الرأي مستنبط من أخبار اليزيدية ومعتقداتهم، فإنه لا يزال يحتاج إلى براهين قاطعة^(٤).

٥. أمّا المؤرخ الكردي محمد أمين زكي، فإنه ينقل في مؤلفه «خلاصة تاريخ الكرد وكردستان، من أقدم العصور التاريخية حتى الآن»^(٥) عن بعض الباحثين والمؤرخين القول: «إن سبب تسمية

(٢) كان يزيد هذا من أتباع عبد الله بن إباح الخارجي في أيام مروان وخالفه بأن الله سيرسل نبيا عجميا... فخرج عنه.

(٣) الشهرستاني. الملل والنحل، ج ١ ص ١٢٢.

(٤) لم يذكر التاريخ أن يزيد بن معاوية أسس خلال خلافته طريقة، أو ابتدع له أحد دينا.

(٥) محمد أمين زكي، خلاصة تاريخ الكرد وكردستان من أقدم العصور

أصحاب هذه النحلة بالـ «اليزيدية» أو «اليزيديين» يرجع إلى اعتقادهم بوجود إله يدعى «يزيد» أو «يزدان». لكن العلاقة التي يدعيها بعض المؤلفين بين اسم «اليزيديين» وبين يزيد السلمي، أو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، بعيدة كل البعد عن العقل والنقل^(٦).

٦. ويميل باحثون آخرون إلى القول بأن اليزيدية، ينتسبون إلى مدينة «يزد» أو «يزدان» الفارسية وهي بمعنى «الله» أو «إيزد» ومعناها «خليق بالعبادة». وتطلق في دين المجوس على الملائكة التي تتوسط بين الله والبشر، وتنقل مشيئته إليهم^(٧).

٧. ويؤكد الباحث العراقي صديق الدملوجي، أن تسمية اليزيدية لا تسلتزم الانتماء إلى يزيد بن معاوية مطلقاً، وأنه ظهر خلال العصر الثاني والثالث للهجرة بيت عرف رجاله باليزيديين ولم يكن له صلة لا بيزيد ولا بالأمويين. ويضيف: إن دعوى بعض اليزيدية أنهم من نسل الأمويين غير صحيحة. إلا أن الذي لا جدال فيه - كما يقول - هو أن أمراءهم وشيوخهم أمويون يرتقون إلى مروان بن الحكم رابع خلفاء بني أمية^(٨).

التاريخية حتى الآن، ترجمة محمد علي عوني (١٩٨٥)، لبنان، ص ٢٩٣.

(٦) محمد أمين زكي، المصدر السابق، ص ٢٩٣.

(٧) محمد سيد كيلاني، ذيل (ملحق) الجزء الثاني من كتاب «الملل والنحل».

(٨) اليزيدية، الموصل، مطبعة الاتحاد ١٩٤٩، ص ١٦٣-١٦٤.

ومن ناحية أخرى يعتقد الباحث الديمولوجي أن هذه التسمية لا ذكر لها في التاريخ قبل القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي. وأما ما أتت عليه بعض المصادر من ذكر لآناس أطلق عليهم هذا الاسم قبل ذلك، فإن هؤلاء هم غير اليزيديين أو اليزيدية التي نحن بصدد ها، والتي تنتمي إلى الشيخ «عدي بن مسافر». بل من الخطأ الاعتقاد أن الشيخ عدي هو الذي أطلق اسم اليزيدية على أصحابه، أو أنهم كانوا يحملون هذا الاسم قبل ظهوره. والمرجح، أو حتى من المؤكد، أن هذا الاسم أعطي له من قبل كتبة الاسلام في بداية القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، أو قبل ذلك بقليل^(٩).



وحول أصل اليزيدية، يقول الكاتب اليزيدي المعاصر «درويش حسو»: إن زردشت ولد وعاش في الدولة الميديّة، وانتقل في القرن السابع قبل الميلاد من منطقة كردستان إلى شرقي إيران وهي منطقة اليزد. وقبل هذا التاريخ كان اعتقاد الشعوب الآرية في المنطقة بالاله الواحد وهم يسمّون أنفسهم بالإزداهيّين، أي شعب الله وأتباعه المباشرين. ومنذ ذلك الوقت يسمّون بعقيدة اليزدانية (الإزداهية).

(٩) صديق الديمولوجي، المصدر السابق، ص ١٧٣.

ومن خلال التطورات الدينية الناتجة عن ظهور اليهودية والمسيحية والإسلام، انقسم الزردشتيون في المنطقة إلى قسمين: «الآيرانيين والكرد»، وشطرت الديانة الزردشتية كذلك إلى شطرين، فبقي الشرقيون الزردشتيون على التسمية القديمة نسبة إلى زرادشت؛ أمّا الغربيون في منطقة كردستان فأصبحوا يحملون اسم «اليزدانيين» أو «الإزدهيين».

وفي عصر الهجمات الإسلامية والغزوات العربية للمنطقة، اضطرّ الإزدهيون للبحث عن حلفاء لهم في الدولة الإسلامية التي تطوّرت وتوسّعت وازدهرت. وبعد ظهور الخليفة يزيد بن معاوية في دمشق حاول أمراء الإزدهيين الاتصال به «لكونه رجلاً ذا أفكار حرة، ولم يكن خليفة من الخلفاء المؤمنين»^(١٠).

وقد طلب يزيد بن معاوية العون من الإزدهيين مقابل الحرية الدينية لهم، فقدم الإزدهيون له المساعدة العسكرية، ضد جيش الحسين بن علي. وبمساعدة الإزدهيين الكرّد استطاع يزيد أن يحقق الانتصار العسكري على أبناء علي بن أبي طالب. ومنذ ذلك الوقت يسمّى الإزدهيون باللغة العربية باليزيديين وبأتباع يزيد بن معاوية^(١١).

(١٠) قول مبالغ فيه لم يرد في أي مصدر أن الإزدهيين ساعدوا يزيد.

(١١) درويش حسّو، الإزدهيون اليزيديون، (المانيا، بون طبعة ١٩٩٢)،

ومما تقدّم تتبَيّن صعوبة الوصول الحاسم والمؤكد إلى تفسير واحد يتّفق عليه المؤرخون والباحثون حول منشأ التسمية وأصولها، ويظل غامضاً، إن لم نقل طليساً.

الشيخ عدي بن مسافر

هو شرف الدين أبو الفضائل عدي بن مُسافر بن إسماعيل بن موسى بن مروان بن الحسن بن مروان بن إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي.

ولد سنة ٤٦٧ هـ / ١٠٧٤ م، في قرية «بيت فار»^(١٢) إلى الجنوب من بعلبك. وكان أبوه مسلماً حسن الإسلام، وهو الذي لقّن ابنه شعائر الإسلام. إسم أمّه «يزدة»^(١٣).

ص ١٥-١٨. والمؤلف يعدّ من المثقفين اليزيديين ومن نشطاء «المركز الديني لليزيدية الزردشتية في بون».

(١٢) أسماها بعضهم وهماً بالقاف «بيت قار» وتدعى اليوم «خربة قنقار» ويذكر إسماعيل بيك جول أمير اليزيدية في مذكّراته، ص ٩٣، أنّ أصله من أطراف حلب وبعلبك وهذا وهم أيضاً. ويرى بعضهم أنّ أصله من حرّان. وجاء في «بهجة الأسرار ومعدن الانوار» أنّ أصله من حوران.

(١٣) قد تكون نسبة المذهب باسم «اليزيدية» نسبة إلى اسم والدته «يزيدة».

انتقل إلى بغداد يطلب العلم، فأخذهُ على خيرة أستاذة المنطق والشرعية، وكان من زملائه في بغداد عبد القادر الكيلاني^(١٤)، الذي أسس الطريقة الكيلانية الصوفية. وقد وصفه حاكم إربل صفي الدين حين رآه فقال: «هو ربعة القامة، أسمر، ذو مزاج حاد، وعينين سوداوين ناعمين»^(١٥).

عرف الشيخ عدي برياضته وزهده. هجر قريته وهو شاب يافع، وساح في البلاد، غلب عليه التقشّف، يجوب الصحاري والجبال، ويقيم في الكهوف وشقوق الصخور، ويكثر العبادة والتهجد. ولما تاقت نفسه إلى الإنزواء والإنعزال قصد «لالش»^(١٦)، حيث كان بعض الرهبان المسيحيين يعتزلون كحبساء أو متوحدين على جبل هكاري^(١٧).

(١٤) هو من كبار الزهاد والمتصوفين. ولد في كلان عام ٤٧١ هـ وانتقل إلى بغداد شاباً فاتصل بشيوخ العلم والتصوّف وتصدّر التدريس والافتاء في بغداد عام ٥٢٨ هـ وتوفي بها عام ٥٦١ هـ وله كتب ثمينة.

(١٥) عباس العزاوي، تاريخ اليزيدية، ص ٢٩.

(١٦) لالش قرية تبعد ٣٦ ميلاً شمال شرقي الموصل. يقول عنها الحموي في معجمه: ليلش قرية في اللحف من اعمال شرقي الموصل. منها الشيخ عدي ابن مسافر الشافعي شيخ الاكراد وإمامها.

(١٧) جبل هكاري في شمال العراق، يقع ضمن منطقة كان يسكنها الاشوريون متصلة بجزيرة ابن عمر، يحدها شرقاً إيران وشمالاً وان غرباً وجنوباً الموصل. كانت تابعة لامراء الموصل. وعندما احتلها

وأقام الشيخ هناك في غار، يحيا على الفواكه، وينسج ثيابه من القطن الذي يزرعه في المنطقة. وقصده الناس. وتجمعوا حوله. واشتهر بينهم باسم الشيخ عدي (أو عادي) الهكاري. وغدا أمرُ زهده وفضله حديثَ الخاصة والعامة. يعظ الناس حتى توفي عام ٥٥٧ هـ/ ١١٦٢ م. ودفن في زاويته بالهكارية.

شخصيته:

كان بارزاً في علم الشريعة والفقه والكلام والحديث. ويعدّ من طراز ابن تيمية في عصره. شديد الوطأة، كثيرُ المؤاخذة على المخالفين للسنة. وله رسالة في العقائد أودعها عقيدته ضمن مجموعة من القصائد^(١٨). أجمع المؤرّخون على أنّه أحد صوفية زمانه، وأنّ قبره يُزار إلى اليوم. يصفه ابن تيمية بأنّه من أفاضل العبّاد الصالحين. ويقول عنه الذهبي كان على أهل الخير ناصحاً متشرعاً شديداً في الله تعالى. لا تأخذه في الله لومة لائم^(١٩).

ومهما قيل في شخصية الشيخ عدي فإنّه استطاع ولا شك التأثير في نفوس اليزيدية بحيث بدأ يغرس في أذهانهم شيئاً من

العثمانيون صارت تابعة لولاية وان.

(١٨) صديق الدملوجي، اليزيدية، ص ٧٤.

(١٩) محمد يحيى، قلائد الجواهر، (مصر ١٣٥٦ هـ) ص ٨٩.

شعائر الدين الإسلامي كمقدمة لإمكان تحويلهم عن دينهم القديم^(٢٠)، كما سنرى عندما نتكلم عن علاقته باليزيدية.

مؤلفاته ووصاياه :

لم يخلّف الشيخ عدي ولدًا؛ ويقال إنّه ظلّ أعزب^(٢١)؛ إنما ترك رسائل عديدة ووصايا من تأليفه أهمها :

- ١ - رسالة في آداب النفس،
- ٢ - رسالة في وصاياه للخلقة،
- ٣ - وصاياه لمريده (قائد)،
- ٤ - رسالة في اعتقاد اهل السنّة والجماعة.

في الرسالة الأولى يقول: «إنّ الدعوى تطفئ سراج المعرفة». ويحثّ على مراعاة عشر خصال منها : تلاوة القرآن الكريم للصالحاء، ولزوم ترك المعاصي... ويُرغّب في المجاهدات.

وفي الثّانية يومي بالتباعد عمّن تظهر منه الكرامات إذا لم يوفّق بين أعماله وسلوكه وبين أوامر الشرع. ويزجر عن نواهيه.

(٢٠) جورج حبيب، اليزيدية، بقايا دين قديم، ص ٥٤.

(٢١) راجع صديق الدملاجي، اليزيدية عبد الرزاق الحسني، اليزيديون، سعيد

الديوهجي، اليزيدية، مطبعة جامعة الموصل (١٩٧٣) ص ٣٥.

ولا يسوِّغ التساهل من أحد ولو صدرت عنه بدعة طفيفة.

وفي الثالثة يخاطب (قائداً) وهو أحد مريديه قائلاً: «يا قائد أوصيك بمراعاة الأحكام الشرعية؛ فلا تتجاوزها. إلّٰزم الشرع، وراعِ التقوى، وجانب مَنْ يركض وراء الدنيا». وقال: «الجوع مفتاح الزهد. وحياة القلب»^(٢٢).

ورسائله موجودة في مكتبة الترك في برلين. وذكر أنّ في المتحف البريطاني قصيدتين له في مجموعة، مطلع إحداها:

تفرّدتُ في حبِّ الذي كنتُ أهواهُ وأصبحَ عندي اشتياقٌ للقاءِ
وأصبحتُ نشواناً بكأسِ شربتهُ ولم يعلمِ الإنسانُ من أين مَحياءُ
وكان نَدِمي أشرفُ الرسلِ أحمدُ مليحِ التثني تخجلُ الصبُّ عيناهُ

أما رسالته في «اعتقاد أهل السنة والجماعة»، فهي رسالة صغيرة الحجم، كبيرة النفع. جمع فيها اعتقاد أهل السنة والجماعة، وما يجب أن يكونوا عليه. ويردّ على الذين أرادوا أن يستغلّوا الدين لمقاصدهم الدنيوية، وعلى المتطرفين والغلاة الذين ابتدعوا في الدين ما لا يتفق مع قواعده الأصلية، مستنداً في هذه كلّها على الكتاب والسنة.

(٢٢) عبد الرزاق الحسني، المرجع نفسه، ص ٣٤ - ٣٥.

من أقواله في آداب السلوك :

١ - أَلشَّيْخُ مِنْ جَمَعَكَ فِي حُضُورِهِ، وَحَفَظَكَ فِي مَغِيْبِهِ، وَهَذَّبَكَ بِأَخْلَاقِهِ، وَأَدَّبَكَ بِأَطْرَاقِهِ، وَأَنَارَ قَلْبَكَ بِإِشْرَاقِهِ.

٢ - أَلْمُرِيدُ مِنْ أَنَارَ نُورِهِ مَعَ الْفُقَرَاءِ بِالْأَنَسِ وَالْإِنْبِسَاطِ؛ وَمَعَ الصُّوْفِيَّةِ بِالْأَدَبِ وَالْإِنْحِطَاطِ وَحَسَنِ الْخُلُقِ وَالتَّوَاضُعِ؛ وَمَعَ الْعُلَمَاءِ بِحَسَنِ الْإِسْتِمَاعِ؛ وَمَعَ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ بِالسَّكُوتِ؛ وَمَعَ أَهْلِ الْمَقَامَاتِ بِالتَّوْحِيدِ.

٣ - يَا هَذَا (الْبِدَلَاءِ) مَا صَارُوا بِدَلَاءٍ بِالْأَكْلِ وَالشَّرْبِ وَالنَّوْمِ وَالطَّعْنِ وَالضَّرْبِ، وَإِنَّمَا بَلَّغُوا ذَلِكَ بِالْمَجَاهِدَاتِ وَالرِّيَاضَاتِ؛ لِأَنَّ مَنْ يَمُوتُ لَا يَعْيشُ، وَمَنْ كَانَ لِلَّهِ تَلْفَهُ كَانَ عَلَى اللَّهِ خَلْفَهُ. وَمَنْ تَقَرَّبَ لِلَّهِ تَعَالَى بِإِتْلَافِ نَفْسِهِ أَخْلَفَ اللَّهُ عَلَيْهِ نَفْسَهُ.

٤ - مَنْ لَمْ يَأْخُذْ أَدَبَهُ مِنَ الْمُتَأَدِّبِينَ أَفْسَدَ كُلَّ مَنْ تَبِعَهُ.

٥ - مَنْ اكْتَفَى بِالْكَلَامِ مِنْ غَيْرِ عَمَلٍ إِنْقَطَعَ عَنِ اللَّهِ. وَمَنْ اكْتَفَى بِالتَّعَبُّدِ مِنْ غَيْرِ فِقْهِ، خَرَجَ مِنَ الدِّينِ. وَمَنْ اكْتَفَى بِالْفِقْهِ مِنْ دُونِ وَرَعٍ اغْتَرَبَ بِاللَّهِ، وَمَنْ قَامَ بِمَا عَلَيْهِ مِنَ الْأَحْكَامِ نَجَا.

٦ - أَوَّلُ مَا عَلَى سَالِكِ طَرِيقِنَا تَرْكُ الدَّعَاوَى الْكَاذِبَةِ وَإِخْفَاءُ الْمَعَانِي الصَّادِقَةِ.

٧ - إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ تَظْهَرُ لَهُ الْكَرَامَاتُ الْخَوَارِقُ، فَلَا تَعْبَأُوا بِهِ حَتَّى تَنْظُرُوهُ عِنْدَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ؛ فَإِنَّ جَمْعًا مِنَ الْكِبَارِ أَظْهَرُوا

خوارق وعجائب وهم كفار.

٨ - مَنْ كان فيه أدنى بدعة، فاحذرُ مجالستَه، لئلا يعود على شؤمها ولو بعد حين^(٢٣).

لقد اعتنى المؤرِّخون كثيراً بمقام الشيخ عدي، فترجموا له في مصنفاتهم . ولعلَّ خير ما جاء في هذا المجال قول الشيخ عبد القادر الكيلاني في مجاهدته: «لو كانت النبوة تُنال بالمجاهدة لنالها عدي بن مسافر»^(٢٤).

ومن أهم المترجمين له ابن الاثير (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م)^(٢٥)، وابن خلِّكان (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)^(٢٦)، وعمر بن الوردى (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)^(٢٧). والحافظ شمس الدين الذهبي (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)^(٢٨)، وأبو محمد اليافعي (ت ٧٦٩هـ/ ١٣٦٧م)^(٢٩)، والمقريزي (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)^(٣٠)، وعبد الوهَّاب الشعراني (ت

(٢٣) سعيد الديوه جي، اليزيدية، ٥٨.

(٢٤) ابن الوردى، تنمة المختصر، ج ٢ ص ١٠٠.

(٢٥) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج ١ ص ٢٨٩.

(٢٦) ابن خلِّكان، وفيات الاعيان

(٢٧) ابن الوردى، تنمة المختصر، حوادث سنة ٥٥٧ هـ.

(٢٨) في كتابه دول الاسلام، ص ٥١.

(٢٩) في كتابه مرآة الجنان وعين اليقظان، ٣/ ٣١٣.

(٣٠) الخطط المقرزية، ج ٤ ص ٣٠٥.

٩٧٣هـ/١٥٦٥م)، وابن العماد (ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م)^(٣١)، وابن الفرات في تاريخه، وأبو الفداء في مختصره وغيرهم.

كرامات الشيخ عدي وخوارقه :

نسبت الي الشيخ عدي خوارق وكرامات كثيرة، لا تعدو أن تكون نوعاً من المغالاة. وهي على أي حال أقل بكثير مما نسبت إليه الطائفة اليزيدية . وندون، في ما يلي، بعضها زيادة في تعريف مقامه، وللوصول إلى آراء اليزيدية فيه . ومسألة الكرامات تُعزى دائماً إلى المتصوفة والزهاد. وأرجح أنها لو عرضت عليهم لما قبلوا بها. ولكنها تدلّ على مدى اعتقاد الناس بهم.

- يذكر ابن الوردي خبراً عن خادم الشيخ عدي قال فيه: «خدمته سبع سنين، وشهدتُ له خارقات، إحداها أنني صبيتُ على يديه ماء فقال لي: ما تريد؟ فقلت: أريد تلاوة القرآن فإني لا أحفظ منه سوى الفاتحة وسورة الإخلاص؛ وحفظه عليّ عسير جداً. فضرب بيده في صدري فحفظتُ القرآن كله في وقتي».

- وقلت له يوماً: يا سيدي أر لي شيئاً من المغيبات. فأعطاني منديله وقال لي: ضعه على وجهك، فوضعتُه. ثم قال لي: إرفعه.

(٣١) في كتابه الطبقات الكبرى، ١: ١٩٠.

فرفعته. فرأيت الملائكة الكاتين، ورأيت ما يسطرونه من أعمال الخلائق. فاقمت على هذه الحال ثلاثة أيام، فتكدر عليّ عيشي، فاستغثتُ إليه، فوضع المنديل على وجهي، ثم رفعته فاستتر عني ذلك الأمر كله.

— روي أنه كان يستطيع قراءة القرآن مرّتين في الليلة الواحدة.

— يروي الحنبلي في قلائده أن اليزيديين ينسبون إلى الشيخ عدي بن مسافر بعض الكرامات. من ذلك ما رواه أبو البركات صخر بن مسافر، قال: «قدم على عمي الشيخ عدي يوماً ثلاثون فقيراً فقال له عشرة منهم: حدثنا يا مولاي عن طرفٍ من الحقيقة. ولم يكده الشيخ يشرع في حديثه حتّى تحوّل هؤلاء العشرة إلى ماء. وقال له عشرة آخرون من البقية: حدثنا يا مولانا عن حقيقة المحبة. وما شرع الشيخ بالحديث حتّى سقطوا جميعاً هامدين. أمّا العشرة الأخيرة من الفقراء فقد طلبوا منه أن يشرح لهم شيئاً عن حقيقة الفقر. وكانت نهايتهم أن سقطت ثيابهم عنهم وخرجوا من عنده عراة».

— تروي المعتقدات اليزيدية، معجزة مولده من والدين عجوزين، ورحيله عن الوطن بحثاً عن مصيره، وكان عمره خمس عشرة سنة. وبعد خمس سنوات، وبينما كان يمتطي جواده تحت ضوء القمر، نزلت عليه النبوة أمام قبرٍ قديم، حيث برز أمامه شبح

من باطن الأرض، وبحجم جَمَلَيْن، طولُ أطرافه ثمانِي أقدام، ورأسه كرأس جاموس الماء، ووبره خشن طويل، وله عينان كبيرتان مدوّرتان كعيْنَي الثور، وهما تلمعان بلونٍ أخضر، وجلده أسود قاتم. ومع ذلك فإنَّ هذا الشيخ يشبه الإنسان.

وفي هذه الاثناء تضخَّم القبر حتى لامس السحاب، أخذاً شكل المنارة التي شرعت بالاهتزاز. وبينما كان عدي يرتعش من هول ما يرى اصطدم بإبريق ماء كان قريباً منه. فانقلب الشيخ إلى فتى وسيم ذي ذيل كذيل الطاووس. فقال له الفتى: «لا تخَفْ. فقط تسقطُ هذه المنارة، وتدمرُ العالم كُلَّهُ، لكنَّك والذين يصغون إليك لن يصيبهم أيُّ أذى، وستحكمون الأطلال. أنا الملك طاووس، قد اخترتُك لتعلن عن ديانة الحقِّ في العالم».

ثمَّ أخذ الملك طاووس روح عدي إلى السماء، وأبقاها فيها سبع سنوات، فأفضى الله له بالحقيقة كاملة؛ بينما كان جثمان عدي ممدوداً في القبر، عندما آبت روحه من السماء لتدخل جسده ثانية لم يكن الماء الذي انسكب من الإبريق قد جفَّ.

قبر الشيخ عدي :

قامتُ بزيارة قبر الشيخ عدي عام ١٩٨٧، واستأذناً بزيارة الضريح، فسمح لنا، وقال لنا المسؤول: إخلعوا أحذيتكم قبل وصولكم إلى العتبة.

شاهدنا قرب أعلى المرقد القديم عبارة واضحة بالعربية هي :
 «بسم الله الرحمن الرحيم، خالق السماء والأرض. إحفض (إحفظ)
 هذا المنزل محلّ الشيخ عدي الهكاري شيخ اليزيدية».

وقرأنا على الجدار: «قد سعى بتجديد هذا المرقد علي بيك بن
 حسين بيك أمير الشيوخ، سنة ١٣٢٤ هـ».

ورأينا عبارات متفرقة بعضها واضح وبعضها غير واضح.
 ونقش على الجدار الأيمن ثعبان أسود رأسه متّجه نحو الأسفل
 وذيله نحو الأعلى.

وقبل أن نبلغ إلى المكان أو المقام لمحنا على الطرف الأيمن
 موضعاً كبيراً، وعلى الأطراف والزوايا مواضع عدّة للجلوس. وقد
 قيل لنا إنّ هذا الماء المتدفّق من العين الموجودة هناك هو ماء زمزم،
 وإلى الطرف الأيسر من الرواق نافذة كبيرة، أحجارها ثمينة.
 ونقش فوقها بخطّ نسخي جميل آية الكرسي. ولما سألنا المتولّي عن
 أمر هذه النافذة أجابنا: يقع خلفها قبر الشيخ عادي (عدي)، وإلى
 جانبه قبر صغير قيل لنا إنّهُ مرقد يزيد.

ودلفنا بعد ذلك إلى غرفة مربعة الشكل طول الضلع الواحد
 أربعة أمتار، وفيها قبر قيل إنّهُ قبر الشيخ حسن البصري.
 وشاهدنا من هذه الغرفة غرفة أكبر وأعلى وذات قبّة مخروطيّة
 الشكل مرتفعة جداً. وفي أعلى القبّة هلال من ذهب، وتحتها مرقد
 الشيخ عدي. وهذا القبر كعبة اليزيدية ومحورهم وقطبهم ومركز

عبادتهم وحجّهم الأكبر ومزارهم الرسمي. وفوق القبر المذكور صندوق من خشب تغطيه سجادة قديمة جداً. وحينما دخل المتولّي معنا، ووضع يده فوق الصندوق قال: هذا ما نعبدّه يا سيّدي.

والى جانب الغرفة التي تضمّ قبر الشيخ حسن البصري دهليز طويل وعميق، علّق على جدرانهِ أوّانٍ مملوءة زيتاً، يتبرّع به الزوّار لإضاءة المقبرة.

بناءً هذا المكان مستطيل الشكل طوله ثلاثون متراً تقريباً، وعرضه اثنا عشر متراً. وهو ذو صفّين، في كلّ صفٍّ سبعة محاريب، بنيت نحو الجنوب لأداء الصلاة. ولم نر في المزار أيّ صورة أو تمثال أو ما يشبه ذلك.

وحين تمّت زيارتنا وخرجنا من المرقد وصلنا إلى باحة واسعة فيها عدد من أشجار التوت، اتّخذ الناس من جذوعها محلاتٍ ودكّات يمدّون عليها بضائعهم ومعروضاتهم لبييعوها أوقات الزيارة كأنواع الحلوى والمكسّرات والنقولات، وغيرها...

وفي هذه الساحة غرفة المتولّي يقابلها حوض ماء ذو نبعين وبابين، يدعونهما عين البيضاء، يُغسل فيها الأطفال الحديثو الولادة، ليُطهّروا من أدران الولادة.

وفي هذه الساحة أيضاً كهوف مقدّسة، وأحواض ميمونة، وأشجار مباركة، وأحجار مقدّسة في نظرهم.

القبر بين الأسطورة والتاريخ :

الرأي الثابت والأكيد أنَّ المزار المدفون فيه الشيخ عدي كان ديراً للرهبان النساطرة. سكنه الشيخ عدي فترةً تصوّفه إلى حين وفاته. ويعتبر الأب أنستاس الكرملّي اسم عدي هو نفسه القديس «أدّي أو أدّاي». ويقول «فتفت الطاووس ملك في صدور رهبان دير أدّاي أن يتركوا الصلوات والأصوام والعيشة القشفة، لأنّ الله تعالى غفر لهم سيئاتهم كلّها، وأعدّ لهم مقاماً سامياً في جنّة الخلود. وبعد (قصة غير معقولة)^(٣٢)، هجروا الدير، وتفرّقوا

(٣٢) بينما كان الرهبان قد خرجوا يوماً من البيعة، وفي مقدّمتهم الصليب ليطوفوا ثلاثة أيام حول الكنيسة، إستدراراً لنعمه تعالى بالشكر وتبركاً بعيد عظيم رأوا طرساً معلقاً بأعلى الشجرة التي كانت موجودة في فناء الدير. فوقف الطواف عند ذلك، وأمر رئيس الدير أن تنزل تلك الصحيفة وتقرأ. فلما انزلت رأوا مكتوباً فيها ما يأتي: «أيها الرهبان الاتقياء: ان الله قد غفر لكم كبائركم وصغائركم فلا تعودوا تُقشّفون أنفسكم بل اهجروا الدير فتفرّقوا وتأهلوا وأتونا بولدان نجباء. والسلام». فلما وقف الرهبان على ما انطوت عليه هذه الرقعة عجبوا كل العجب. فقالت طائفة منهم: إنّ هذا إلا من الشيطان الرجيم. وقال آخرون: إنّ هذا إلا من الرحمن الرحيم. ومن ثمّ ثارت الشحنة بين الفريقين. ولما كان الغد، وفعلوا ما فعلوه أمس، رأوا طرساً آخر وفيه مكتوب ما قرأوه البارحة. ثم رأوا نفس هذه الأشياء. وفي اليوم الثالث جرى ما جرى باليومين السابقين فاتفق جميع الرهبان على أن يهجروا الدير ويفعلوا بما قرأوه. فتفرّقوا شذراً وجزوا ودانوا باليزيدية. وفي مطاوي تلك الحوادث كان الشيخ عادي

شَذَرْمَذَر، وتزَوَّجُوا ودانوا باليزيدية»^(٣٣).

لكنَّ المصادر المسيحية تنقل روايتين حول هذا الموضوع، وتُرجع كليهما إلى أنَّ الزاوية هي محل دفن الشيخ عدي في وقت متأخر.

إحدى الروايتين، وهي منظومة ابن المقدَّم، وكان مطران إربيل في القرن الخامس عشر. يقول ابن المقدَّم: «كان هذا الدير في حوزتنا، حتَّى قدم الشيخ عدي إليه، والتحق به عدد غفير من الناس، وهو اليوم معروف باسم الشيخ عدي»^(٣٤).

والرواية الثانية، رسالة خطية كتبها بالسريانية ميشوب الشايب حوالي سنة ٨٥٥م. تقول الرسالة: إنَّ مرقد الشيخ عدي

قد أنبأ يزيديّة تلك النواحي ان رهبان الدير المذكور يهجرون صوامعهم ويتمسكون بالطريقة اليزيدية ويعودون الى الدنيا فيتزوجون فيها ويرزقون ولدًا نجباء. ثم قال وفي تلك الايام اموت فادفنوني في البيعة، في محل المذبح الاعظم بعد ان تهدموه. فلمّا تحققت نبوّته عن الرهبان، توفي بعد قليل من الزمان. فأدرجت جثته في الاكفان. ودفنت في ذلك المكان بأبهة لم تسمع بمثلها الاذان. ومنذ ذلك الحين أخذ اليزيدية يتقاطرون إلى ضريحه في كل سنة على مرّ الزمان. وحوّلوا اسم القديس أدّي بالشيخ عادي». ر: مجلة المشرق، بيروت، عدد ١، ص ٣٩٦-٣٩٧، الأب أنستاس الكرملّي، اليزيدية.

(٣٣) مجلة المشرق، المصدر السابق.

(٣٤) د. محمد التّونجي، اليزيديون، ص ٥٧-٥٨.

كان في الأصل ديراً^(٣٥)، أسَّسه راهبانٌ باسم القديس يوحنا وايشوع سبران في القرن السابع الميلادي، وأقام فيه عدداً من الرهبان، وأوقف له ٣٠ قرية و ١٥٠٠ ثور و ٢٠٠ خروف، وعدداً كبيراً من الجمال والبقر. وقد اتَّفَق الرهبان مع أسرة الشيخ عادي أن يرعوا لهم هذه الماشية، وكان الشيخ عادي في تلك الحقبة صغيراً. وحين شبَّ وكبر تزوَّج ابنة أحد المشهورين في المنطقة.

وازداد مقام الشيخ عادي لدى رئيس الدير، فأوكل إليه أمور إدارة الدير والإشراف على الأملاك والأنعام. ومن عادة رؤساء الدين أنهم يقصدون الحجَّ إلى بيت المقدس كلَّ عام، ويتسلَّم الشيخ عادي إدارة الدير كاملاً طيلة مدَّة غيابهم، لكنَّ أحدَ رؤساء الدير اختلف مع الشيخ عادي، سنة ٦١٦هـ/ ١٢١٩م فحدَّ من مقامه في الدير وفي أملاكه. وحين قصد رئيس الدير ورهبانه في تلك السنة الحجَّ أغار الشيخُ عادي وأصحابه على الدير وقتلوا مَنْ فيه واتَّخذَه مقاماً له. وحين عاد رئيس الدير حاول أن يستعيد الدير بالحسنى

(٣٥) اكْتُل لي أحد اليزيدية ثقة في هذا الموضوع انه كان يوجد في داخل هذا الدير او المزار تاريخ يذكر فيه بالكلدانية اسم مؤسس الكنيسة، وفي عهد أي من البطارقة بُنيت، وعلى إسم من شَيِّدت، ونحو ذلك مما هو معهود في مثل هذا الرقيم. غير ان اليزيدية نزعه من محله خوفاً من ان يزوره احد أئمة النساطرة فيدَّعي بملك الدير والكنيسة، وأخفوه ودفنوه عند مدخل باب المزار في محلٍّ لا يعرفه الا الوَهَّفَة.

والرفق فلم يوفَّق. فلجأ إلى أمير المغول في إيران (!)، وحكى له ظلامته، وطلب منه المساعدة لاستعادة الدير من الشيخ عادي وأتباعه، فوعده أمير المغول بذلك خيراً^(٣٦).

اليزيدية والشيخ عدي :

لا بد من توضيح شامل للعلاقة المتينة بين اليزيدية والشيخ عدي بن مسافر حيث تجمع أغلب الدراسات الوصفية والانتروبولوجية للطائفة اليزيدية على المكانة الخاصة والرفيعة «للشيخ عدي»، بل إن اليزيديين يضعون الشيخ عدي مع الملك طاووس في مرتبة واحدة^(٣٧). وهذا ما يؤكده «مصحف رش» صراحة حين يقول: «ثم أرسل الله الشيخ عدي بن مسافر من أرض الشام وأتى إلى لالش»^(٣٨).

(٣٦) أول من اعتقد بكلام الراهب راميشوع هو المستشرق الفرنسي «نو» فترجم رسالته وألحقها بكتابه المطبوع عام ١٩١٨. كما أن هذه الرسالة نشرت ترجمتها إلى العربية في مجلة «السلام» ببغداد، عام ١٩٤٠؛ ونشرت كذلك في مجلة «المقتطف» ضمن مقالة موقعة باسم «كلده». وفي عام ١٩٢٣ نشر القس سليمان صائغ خلاصة الرسالة في كتابه «تاريخ الموصل»، الجزء الأول ١٩٢٣.

(٣٧) محمد أمين زكي، خلاصة تاريخ الكرد وكردستان، ص ٢٩٦ - ٢٩٧.

(٣٨) مصحف رش، الفقرة (١٥).

ويفرق محمد أمين زكي بين شخصيتين تاريخيتين كانتا تحملان اسم «عدي»، فيقول: إن أحدهما هو الشهير بالشيخ «عدي بن مسافر الأموي»، رحل من قرية «بعلبك» إلى جبال «حكاري»، فأنشأ فيها طريقةً اجتمع بها حوله أناس كثيرون. وتوفي سنة ٥٥٥ هـ/ ١١٦٠ م. وقام في محله بعده ابن أخيه المدعو «أبو البركات بن صخر بن مسافر»، وذاع صيته واشتهر أمره.

والثاني هو «أبو المفاخر عدي بن أبي البركات» المذكور. ويظهر أن «الثاني» هو الذي استولى على الدير المجاور له عنوةً، مما أفضى إلى إلقاء القبض عليه، وقتله على يد «باطو»، الأمير المغولي، سنة ٦٢٠ هـ/ ١٢٢٣ م. غير أن الراهب النسطوري راميشوع، في كتابه المؤلف سنة ٨٥٦ هـ/ ١٤٥٢ م.، والمسيو «نو» المستشرق الفرنسي، يقولان إن الشيخ عدي، من الوجهة القومية، كردي، ومن الوجهة الدينية، تيرا هي «زردشتي»^(٣٩).

ويرى محمد أمين زكي، أن كتاب «الجلوة» الذي تقدسه الطائفة اليزيدية، من تأليف «الشيخ عدي» نفسه^(٤٠).

ولئن كانت نسبة كتابي «مصحف رش» و «الجلوة» للشيخ عدي بن مسافر موضع أخذ وردّ، فإن ذلك لا يؤثر على حقيقة ما

(٣٩) راجع كتاب نو.

(٤٠) راجع كتاب محمد أمين زكي

يكنّه اليزيديون من احترام عظيم لشخصه، الذي يروون عنه أخباراً وقصصاً تتعلّق بالكرامات والأعمال الخارقة؛ بل يرفعونه أحياناً إلى ما فوق درجة النبوة والقداسة، حتّى يتّحد بملك طاووس، ويشترك معه في الألوهية، كما لاحظ ذلك بعض الدارسين المعاصرين^(٤١).

أمّا الباحث اليزيديّ درويش حسّو، فإنّه يؤكّد أنّ الديانة اليزيدية تعرّضت لتطورات كبيرة في القرن التاسع الميلادي نتيجة الأفكار الجديدة التي نزلت على الأرض بواسطة الملك طاووس، الذي اتّصل بالشيخ هادي المسمى بالشيخ أدي أو بالشيخ عادي، الذي كان يعيش في جبال كردستان، ويفكر بالله تعالى وبملائكته، وأنّ الله تعالى بشره بإنقاذ اليزيدية وتعليمهم الأصول الدينية الجديدة التي نسوها بمرور الزمن إلا أنّ الشيخ أدي توفي. وفي ذلك الوقت قام شيخ آخر بزيارته وتسلم مكانه.

وكان هذا الشيخ يسمّى (عدي بن مسافر) الذي كان له مريدون وطريقة إسلامية تدعى «العدوية»، حيث حاول لمدة قصيرة دمج العدويين مع اليزيديين. ولكنّ العدويين كانوا يؤمنون بالإسلام على طريقة شيخهم، في حين كان اليزيديون على شريعتهم الإزدهائية... ولهذا نجد في العلوم اليزيدية الكثير من

(٤١) محمد سيد كيلاني (ذيل) كتاب «الملل والنحل» ج ٢ ص ٢٧.

المعاني والكلمات الآتية من الأدب الاسلامي واللغة العربية. وأشياء كثيرة مباحة في الإسلام، مثل تعدد الزوجات والمهر، في حين أنها غير مباحة في اليزيدية»^(٤٢).

ويعتبر اليزيديون أن الشيخ عدي بن مسافر، الذي ولد في قرية بيت فارا في البقاع الغربي (قرب بعلبك) بלבنان، وأسس الطريقة الصوفية المعروفة بنسبتها إليه، قد رحل وجاور فترة بالمدينة المنورة، ثم تنقل في الجبال الواقعة شرقي الموصل سائحا زاهداً - كعادة بعض المتصوفة - إلى أن استقر به المقام آخر الأمر في قرية «لالش» في جبال «الهكارية» القريبة من الموصل، حيث بنى زاويةً انقطع فيها للعبادة، وجمع حوله أتباعه ومريديه. وعظمت هناك شهرته، وعلا صيته إلى أن توفي سنة ٥٥٥ هـ. وقيل سنة ٥٥٧ هـ. ودفن بزاويته في «لالش» أو في «شيخان» كما يرجح أغلب المؤرخين.

وقد كتب في سيرته الورعة كثير من المؤلفين وكتب التراجم بموضوعية، ودقة، كابن خلكان في «وفيات الأعيان»، والسخاوي في «تحفة الأحباب»، وابن فضل الله العمري في «شذرات الذهب»، وابن تيمية في إحدى رسائله.

ويجمع المؤرخون والدارسون على عمق إيمان الشيخ عدي،

(٤٢) درويش حسو، الإزدواهيون اليزيديون، ص ٣١.

وورعه ووقوفه عند حدود الله أمراً ونهياً، والتزامه التام بأركان الاسلام وفرائضه المعروفة، إضافة إلى زهده وتقشفه الشديدين. حتى إن ابن تيمية المشهور بتشدده وصف طريقة عدي بن مسافر بقوله: «إنها سليمة من البدع». وأكد أن العدويين كانوا في عهده (أي عهد ابن تيمية المتوفي سنة ٧٢٨ هـ / ١٣٢٨) يحتفظون بالعقائد الإسلامية سليمة من الغلو، أي يزاولون أركان الإسلام كجميع المسلمين»^(٤٣).

أما شرف خان البديسي مؤلف كتاب «شرفنامه» الشهير فإنه يتحدث عن العشائر الكردية، المستوطنة في أنحاء الموصل والشام، التي تعتنق مذهب اليزيدية، مثل الطاسنية والخالدية والبسيانية وبعض البختية والمحمودية والدنبلية. ويقولون بأنهم أتباع ومريدو الشيخ عدي بن مسافر، وهم يعتقدون أن هذا الشيخ المدفون في جبل لالش، من أعمال الموصل، قد أسقط عنهم الفروض، وأنه يقوم نيابة عنهم، وأنه سيدخلهم الجنة بلا حساب ولا عتاب على ما فرط منهم من ترك الصلاة والصيام. ولهم عداا صريح وبغض شديد لعلماء الظاهر وفقهاء المسلمين^(٤٤).

(٤٣) الدكتور محمد علي الزعبي، وصايا الشيطان، بيروت، مؤسسة البرعي للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت. ص ٣٣ - ٣٤.

(٤٤) شرف خان البديسي، شرفنامه (بالفارسية أصلاً)، ترجمه الى العربية محمد علي عوني، راجعه وقدم له يحيى الخشاب، ج ١ دار احياء الكتب

ونقل الاستاذ عباس العزاوي المحامي عن الجزء المخطوط من كتاب «السلوك لمعرفة دول الملوك» لتقي الدين أحمد بن علي المقرئ المتوفى سنة ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م. ما يلي :

«في هذه السنة (٨١٧ هـ / ١٤١٤ م) قد حُرق قبر الشيخ عدي الكائن في هَكَار من بلاد الكرد. وقد تَجَمَّع هؤلاء على قبره، وقد سُمُّوا بالعدوية، فاتَّخذوه قِبْلَةً لهم، وهم كثيرون هناك. وصار يتهاقت الناس لزيارته. وهؤلاء عقَّبوا سلوك هذا الشيخ، وصار محلَّ اعتمادهم واحترامهم . وبعد مدَّة غلَّوا فيه، وبالغوا في اتِّباعه لدرجة أنَّهم صاروا يعتقدون فيه أنَّه يرزقهم، وأنَّهم لا يقبلون رزقاً من سواه. ويحكمون أنَّ عدياً جلس مع الباري تعالى وأكل معه خبزاً وبصلاً، وأسقط عن اتِّباعه الصلوات الخمس... وينقلون حكايةً عن خادمه (حسن البواب) ويزعمون أنَّ عدياً، حيثما وافته المنية، قال له: أُلصق ظهرك بظهري. وبهذه الصورة انتقل نسله إلى نسله، ومنح ذريَّته إلى حسن البواب. ومن ثَمَّ صار أولاده وأحفاده يعدُّون عدويةً ويحترمونهم، حتى إنَّهم يزوِّجون بناتهم من ذرية حسن المذكور، ويعدُّون ذلك قِربى لهم. ولَمَّا تجاوزوا الحدَّ، قام عليهم جلال الدين محمَّد بن عزَّ الدين يوسف الحلواني من

الشافعية، من فقهاء إيران، فأغرى الأمراء بالقيام عليهم، ودعاهم لمحاربتهم، فأجاب دعوته كلٌّ من حاكم جزيرة ابن عمر (أمير عز الدين البختي) وجماعة من أكراد السندية مع حاكم شراش^(٤٥)، وأمير توكل الكردي. وأيضاً أرسل حاكم حصن كيفا جيشاً لمساعدتهم. وكذا التحق بهم أمير شمس الدين محمد الجردقلي. وبهذه القوة العظيمة هاجموا جبل هكار. وقتلوا الكثير من أتباع الشيخ عدي، ممّن يسمّى بـ«الصحبتيّة». ثمّ جاءوا إلى قبر الشيخ عدي لأجل هدمه، فوصلوا قرية شرالق (وفي كتب أخرى لالش)، فهدموا قبّته، وحفروا القبر، فأخرجوا عظامه وأحرقوها بمراى من أسرى الصّحبتيّة، وقالوا لهم: أنظروا عظام من تدعون ألوهيَّته تحترق ولا يستطيع أن يمنعنا؟ واغتنموا غنائم كثيرة. ولما عادوا من النهب، اجتمع الصّحبتيّة فعمّروا القبّة من جديد، وعادوا إلى ما كانوا عليه من عاداتهم القديمة. ومن ثمّ عادوا كلّ الفقهاء من جراء هذا الفعل^(٤٦).

(٤٥) قد تكون شرانش مركز ناحية السندي التابع لقضاء زاخو الواقع وسط

عشيرة السندي الكرديّة. وشرقيها تقع شرانش المسيحيين

(٤٦) نقلاً عن السيد عبد الرزاق الحسني، اليزيديون، ط ٦، بغداد ١٩٧٤ ص

على ضوء ما سبق يمكن القول إنّ شخصية الشيخ عادي وعلاقته بالشيخ الصوفي عدي بن مسافر غامضة جداً. ولكن، من المؤكّد أنّ بعد وفاة الشيخ عدي بن مسافر ظهر بين خلفائه في قيادة الفرقة «العدوية» بعضٌ من غالى؛ وربما من أبعدّها عن التعاليم الإسلامية المعروفة، فانبعث من داخلها طقوس ومعتقدات قديمة، كانت متوارية في تلافيف العقل الباطني للشعب اليزيدي. ونذكر منها تعاليم وتصورات الديانات والعقائد والتصورات الدينية الشرقية المنقرضة أو المستترة ظاهرياً، ولكنها مستمرة في الذاكرة الشعبية، والخيال الجمعي المتوارث منذ مئات السنين، كالزردشتية والطوطمية والأرواحية (الأنيمية) والغنوصية والمناوية، وعناصر كثيرة مستمدة من مزيج عجيب من بقايا الفلسفات والعقائد الشرقية، كالهندوسية، والهرمسية، وعبادة الكواكب، والرمزية، والفيثاغورية، والأفلوطينية، والإشراقية، وبعض الشعائر والطقوس المأخوذة من مذاهب معينة في اليهودية والمسيحية والإسلام^(٤٧).

(٤٧) نعتقد ان الازيدية بقايا دين من أديان العراق القديم. وهذا الارجح في رأينا من خلال دراستنا ومتابعتنا للموضوع من كافة النواحي الفكرية والعرقية والاجتماعية.

الفصل الثالث

معتقدات اليزيدية وشرائعهم

١. الله وطاووس ملك والشيخ عدي :

إن اليزيدية يؤمنون بإله واحد ضابط الكل، بيده كل ما في السماء وكل ما في الأرض، ويسمونه بالكرديّة خودا Khuda أي الله، وبالعربية ربّ العالمين. ودونه الملك طاووس، والشيخ عدي، ويزيد. وهؤلاء ثلاثتهم ليسوا إلا إلهًا واحدًا من الرتبة الثانية، في فرعين كبيرين:

الفرع الأول: هو الطاووس ملك، ويسمى عندهم كاروبيم، وهو بعد ربّ العالمين، سيد الكل، وضابط الكل، ورازق الكل. بيده اليمنى الخير، وبيده اليسرى الشر. يعطي الخير لمن يشاء، ويأخذه ممن يشاء، ويزيله ممن يشاء.

يقولون في أصله: «إن ربّ العالمين غضب يوماً على الطاووس ملك ونفاه من الجنة، وهو اليوم خارجاً عنها، لكن في آخر يوم الدين يتصالح معه ربّ العالمين، فيرجع إلى عليّين، على ما كان في بدء خلق الأرضيين، ماشياً على سراط الحق المبين، ومن

حوله جماعة الملائكة والأولياء والقديسين يعظمون قدره ويمثلون أمره»^(١).

فلهذا ترى اليزيدية يترضونه كل الترضي، ويتقصون في إكرامه كل التقصي. وقد أقاموا له أياماً مشهورة وأعياداً معدودة، وطوافات معلومة، وحفلات عندهم مرسومة. ويقولون إنما نكرم الطاووس الملك دون رب العالمين، لأن هذا الطاووس مصدر كل الشرور والنحوس. فإن لم نستلفت أنظاره علينا لم نخلص من انتقاصه. وإذا ترضيناه فزنا بسعادة الدنيا والآخرة. وكل من لعنه في حياته فقد هلك... إننا لا نعبده، بل نترضاه ونسترشده^(٢).

وكما أنهم يكرمون الشيطان يريدون أيضاً أن يكرمه غيرهم. وعندهم لفظة شيطان هي كلمة احتقار وإذلال وكفران. فلذا لا يلفظونها البتة، ولا يريدون أن يلفظها الغير أمامهم. وإذا قال أحد كلمة «شيطان» حل قتله عندهم، بل وعلى يدهم. وليس فقط لا يلفظون هذه الكلمة، بل ولا كل ما يشابهها اشتقاقاً، أو لفظاً، أو رويًا، أو أحرفاً. فلا تقل أبداً أمامهم مثلاً: الشط، والبط، والحيطان، والجدران، والسرطان والسطانة^(٣)، واللعنة، والنعل، ولا الخس

(١) الأب أنستاس الكرملّي، اليزيدية، المشرق، ١٨٩٨، عدد ١: ص ١٥١.

(٢) المصدر السابق نفسه، ص ١٥.

(٣) وهو اسم الحزبون في تلك الاصقاع. وعند السريان «السلطان» الشيطان.

واللهانة^(٤) ولا كل ما يقرب من هذه الألفاظ في لغتهم الكردية، مثل اللوبياء والفاصوليا والبامياء، ونحو ذلك. ولهذا السبب عينه يحرم عليهم أكل هذه الخضروات كلها. وإذا أراد أحدهم أن يهين يزيدياً، أو يشتمه، يقول له، أو أمامه: «خسّ الموصل في فمك» لأن هذه الجملة هو أعظم كفر يمكن للكافر أن يلفظه.

أما إذا أراد الإنسان أن يتكلم عن هذه الأشياء المحرم ذكرها فيستعمل الاستتمام، أي يذكر المعنى بطرائق متشعبة، أو بعبارات مستطيلة للعدول عن الكلام المحرم، وللتخلص منها. فإذا أراد أن يعنوا الشيطان مثلاً يقولون: هو ذاك الرجل (أي المعهود بيننا). وإذا أرادوا الشط قالوا: الماء الكبير، أو النهر، وغير ذلك من المصطلحات والكنائيات والرموز والاستعارات.

أما الفرع الثاني فهو الشيخ عدي، وهو، على زعمهم، الروح المقدسة والمنزّهة للأنفس، وهو يحلّ على الأنبياء، ويوحى إليهم الحقائق الدينية ويخبرهم بالغيب. والأنبياء عندهم لا انقطاع لهم. ويسمّونهم بالكواجك^(٥).

(٤) وهو الملفوف أو الكرنب.

(٥) الكواجك، جمع كوجك. وسنشرحها في موضع آخر من الكتاب.

٢. الله وتكوين الخليفة :

يعتقد اليزيديون بالإله الواحد، الخالق، الأساسي لكل ما في الأرض والسماء، وضابطهما، والمحرك لهذا الكون، وخالق الإنسان، وأنه كان موجوداً على البحار، يتجول على مركبته قبل أن يخلق السماء والأرض. ثم خلق الدرة البيضاء من سرّة العزيز. وخلق طائراً اسمه «أنفر»، وجعل الدرة فوق ظهره، وسكن عليها أربعين ألف سنة. وبعد ذلك شرع بخلق الملائكة، فخلق سبعة، يُعينه في كل يوم واحد منهم. وخلقهم هكذا :

يوم الأحد : خلق فيه الملك عزرائيل، وهو طاووس ملك،
رئيس الملائكة.

يوم الإثنين : خلق فيه الملك دردائيل، وهو الشيخ حسن.
يوم الثلاثاء : خلق فيه الملك إسرافيل، وهو الشيخ شمس.
يوم الأربعاء : خلق فيه الملك ميكائيل، وهو الشيخ أبو بكر.
يوم الخميس : خلق فيه الملك جبرائيل، وهو سجاد الدين.
يوم الجمعة : خلق فيه الملك شمنائيل، وهو ناصر الدين.
يوم السبت : خلق فيه الملك نورائيل، وهو فخر الدين.

وعين الله الملك طاووس رئيساً عليهم.

ثم خلق صورة السماوات السبع، والأرضين السبع،
والشمس والقمر.

وعَيْنَ لِكُلِّ مَلَكٍ عَمَلًا، ففخر الدين «نورائيل» خلق الإنسان والحيوان والطير والوحش.

وخلق جبرائيل بصورة طائر. وأرسله. وبيده صنع زوايا الأرض الأربع.

ثُمَّ خلق مركبًا ونزل بالمركب ثلاثين ألف سنة واستقر في لالش. ثُمَّ صاح في الدنيا فجمد الحجر، وصارت الدنيا أرضاً (مدورة بلا تخلل). وبدأت تهتز. فأمر جبرائيل أن يأتيه بقطعتين من تلك الدرة البيضاء. فوضع واحدة تحت الأرض، والأخرى في باب السماء. فسكنت الأرض.

ثُمَّ صنع الشمس والقمر والنجوم من القطع المتكسرة من الدرة البيضاء وعلقها في السماء للزينة.

ثُمَّ غضب الله من الدرة البيضاء فرفسها، فصار من ضجيجها الجبال، ومن عجبتها التلال، ومن دخانها السماوات.

ثُمَّ صعد إلى السماء وثبتّها من غير عمد.

وخلق أشجاراً مثمرة ونباتات في الأرض والجبال زينة لها.

ونزل إلى الجبل الأسود. وخلق ثلاثين ألف ملك، وفرّقهم ثلاث فرق، وشرعوا يعبدونه أربعين ألف سنة. ثُمَّ أسلم أمرهم إلى طاووس ملك حيث صعد بهم إلى السماوات.

٣. الله خالق البشر :

أراد الله أن يوجد العالم والخلق فقال لملائكته: «يا ملائكتي، إنني أخلق آدم وحواء والبشر منهما، وسيحيا نسل آدم على وجه الأرض، وستنتظرون بعد ذلك ملة طاووس ملك وملة اليزيدية».

ثم تجلّى الربُّ في أرض القدس، وأمر جبرائيل أن يجمع له ذرات من أطراف الدنيا الأربعة، فخلق من تلك الذرات العناصر الأربعة التي هي: الماء والهواء والتراب والنار. ونفخ فيها فخلق منها آدم وجعل فيه روحاً من قدرته.

وأمر جبريل أن يدخل آدم الجنة، وسمح له أن يتناول ثمارها عدا القمح، فممنعه من أكله.

وبعد مرور مئة سنة، سأل طاووس ملك الله: كيف يزداد نسل آدم؟ وأين نسله؟ وقال له الله: إنني أوكلتُ أمر البشر ونسل آدم إليك. فجاء طاووس ملك إلى آدم وسأله: أأكلتَ حنطة؟ قال آدم: لا. لأن الله نهاني عنها. فقال له: كل منها. وهذا أفضل لك.

وحين أكل آدم من القمح انتفخ بطنه فوراً فأخرجه طاووس ملك من الجنة. وتركه وحده. وصعد إلى السماء. وتضايق آدم كثيراً من بطنه لأنه لم يكن له مخرج يخرج منه البراز، فأرسل الله طائراً ذا منقارٍ فنقر له مخرجاً في ظهره، فاستراح آدم.

عندئذ أمر الله جبريل أن يهبط بهما إلى الأرض بعد أن خلق حواء من ضلعين من تحت إبطه الأيسر.

فأله لم يطرد آدم وحواء لعصيانهما عليه عز وجل، بل لأنهما دنسا جنة النعيم ببرازهما، بعد أن أكلا من سنبليها، فأتخما وتألما من التخمه. وحين أفرج عنهما الطائرُ بفتحه منفذاً في جسديهما، وأراهما بذلك طبيعتهما، أخرجهما حتى لا يدنسا الجنة.

وأراد كلٌّ من آدم وحواء أن يكون لهما بشرٌ من نسلهما من غير أن يتلامسا. وبعد أن طال نقاشهما ومذاكراتهما، قررا أيهما على أن يصب كل منهما شهوته في إناء، وأن يختم كل واحد منهما إناءه بمهره. وبعد مرور تسعة أشهر فتحا إنائيهما، فكان في إناء آدم صبي وبنت، وفي إناء حواء ديدان وحشرات. وكان من نسل الصبي والبنت ذرية الطائفة اليزيدية. فأرضع آدم طفليه من ثدييه اللذين خلقهما الله له. ومنذ ذلك الزمان ظهر للرجال أثداء.

وبعد ذلك التقى آدم وحواء على جبل عرفات، وتصالحا، وقررا أن ينجبا نسلاً لهما. ولهذا فإن اليزيدية جميعاً من نسل آدم وحده، فيما سائر البشر فمن آدم وحواء معاً.

٤. دموع آدم وجهنم :

يزعم اليزيديون أن الله كان قد خلق جهنم منذ الأزل لأبناء آدم العصاة. وإذا كان آدم أول من خطئ من الناس، وعرف ما يكون

من حاله، عمل بقبوقا^(٦) ليحفظ به دموعه. فامتلا الكوز في السنة السابعة، فأخذه من فوره، وأفاضه على نار جهنم، فانطقات نيرانها للحال. ونجا بهذه الصورة هو وذريته من لهب النار الحامية.

٥. معضلة الخير والشر:

يقول اليزيدية بنظرية «الثنوية»، أي القول بأنّ النور والظلمة أصلان خالقان ومتساويان في الأزلية. وهم بذلك يقولون قول ماني ومزدك وديسان^(٧). هؤلاء اعتُبروا، في العصر العباسي، زنادقة، لأنّ الإسلام يدعو إلى الله الواحد الأحد الذي لا شريك له.

ولا شك أنّ زردشت الذي عاش في القرن السابع قبل الميلاد يرى أنّ النور والظلمة (أهورامزدا وأهريمان) مبدءا العالم وهما متضادان. وبامتزاجهما حصلت تراكيب العالم وصوره المختلطة. ويرى أيضاً أنّ الإثنين لهما خالق واحد هو الإله الأعلى، وأنّ الإلهين يتصارعان. ولا بدّ أن يغلب الخير الشر في النهاية.

(٦) يريدون به الكوز من الفخار، أو ما يسمى بالابريق.

(٧) هي فرق ثلاث تؤمن بالثنوية: النور والظلمة، الخير والشر. ودعاتها ثلاثة: برديسان (١٥٤-٢٢٢م) ولد في الرها. إليه ينسب كتاب القدر. ماني (٢١٥-٢٧٦) مؤسس مذهب المانوية القائل بميدائي الخير والشر، النور والظلمة. ومزدك داعي إيراني، أيّد النزعة الغنوصية، وأتبع في تعليمه ماني. أراد إشتراكية الأموال والنساء. أيّد مذهبه الملك قباز الأول (٤٨٨) حتى خلعه. وأعاد كسرى أنوشروان الزردشتية.

هذه الأفكار وغيرها تسَلَّت إلى اليزيدية، إلا أن اليزيدية يختلفون عنهم في أنهم يحبّون إله الشرّ ويقدّسونه؛ حتّى كاد تقديسُهم له يُنسيهم إله الخير، أو ربّ العالمين. وإله الشرّ عندهم - وهو الشيطان عند غيرهم - هو الملك طاووس.

وهم أيضاً يتفّقون مع غيرهم في أن هذا الكون وُجد من صراع قوّتي الخير والشرّ: قوّة الخير هي الله وهي التي غلبت. وقوّة الشر - والتي لم تُغلب عند زرادشت بعد - هي التي يخضعون لها خوفاً وضرورةً، لأنّها مصدر الشرّ.

وهم واثقون من أن الله لا يقدم على شرّ، وعمله كله خير في خير.

٦. الطوفان:

لليزيدية نظرة خاصّة في الطوفان. فهم يعتقدون بطوفانين: الأوّل جرى في «عين سفني»، محل إقامة مشايخ اليزيدية في منطقة الشيوخان (على بعد ستة أميال جنوب لالش). وهناك تمّ بناء السفينة، وتحركت حتّى وصلت إلى جبل سنجار، فاصطدمت بصخر ناتئ، فتصدّعت^(٨)، فخرج ثعبانٌ، وسدّ ثقب السفينة بذيله،

(٨) وهم يروون كذلك أن السفينة حين ثقبت سأل نوح: مَنْ لنا بسدّ هذا الفتق؟ قالت الحية: أنا أقوم بذلك بشرط أن تسلّمني ابن آدم لامتصّ دمه. قال نوح: قد رضيتُ بذلك. فلما تحوّت ورتقت السفينة ونجا من كان

فمنع الماء من التسرّب إلى الداخل. فتابعت السفينة مسيرتها، وتوقّفت على جبل الجودي.

ولهذا فهم يقدسون الحية، ولا سيّما الحية السوداء. وهذه الحية، في عرفهم هي التي أخفت الشيطان (المَلَك طاووس)، وأدخلته الجنة.

ويقولون: لما كثر نسل الثعبان أحرّقه نوحٌ بالنار، ونثر رماده في الهواء. فظهرت البراغيث من هذا الرماد...

وبعد ذلك ظهر الطوفان الثاني ليغرق الله الذين تعدّوا على الأمة اليزيدية. فأبو اليزيدية في الطوفان نوح. والناس من أبناء حام بن نوح. والله أرسل الشيخ عدي من بلاد الشام إلى جبل لالش النوراني ليبشّر الناس بالديانة اليزيدية، ويحضّهم على الإيمان بديانته. جاء في مصحف رش: «ثم أرسل الشيخ عدي بن مسافر من أرض الشام وأتى إلى لالش»^(٩).

ويعتقد اليزيديون أنّ سبعة آلاف سنة مضت من الطوفان وكان الله يرسل، في كلّ ألف سنة، أحدَ الآلهة السبعة ليحدث بعض

فيها، قالت الحية لنوح: انجزما وعدتَ به فخاف نوح على ما كان من جنسه فأحرق الحية وذرّ رمادها في الهواء فجاءت منها البراغيت التي تمتصّ دم ابن آدم برفق.

(٩) د. محمد التونجي، المصدر نفسه، ص ١٢١.

المعجزات ويعود. وقد نزل الله عدّة مرّات من الألف الأخيرة، فثبت أوليائه، وأنزل شرائعه وقوانينه، وحدّد الأماكن المقدسة، وكان يحدثهم بلهجة تركيّة.

وهذا كلّ بعد الطوفان الثاني^(١٠).

٧. درب التبان :

ويعتقد اليزيديون أنّ الله أعدّ استقبلاً عظيماً لضيوفه في السماء، ودعا إليه الشيخ عدي بن مسافر الأموي ومريديه. كان مريدو الشيخ جميعاً يمتطون خيولهم، ولم يكن لدى الله تبّن في السماء، فطلب الشيخ عدي من أحد مريديه أن يعود إلى الأرض ويجلب من مزرعته (أي مزرعة الشيخ عدي) تبناً للحياد. فنزل التابع، وأحضر التبّن للخيّل. إلّا أنّ بعض التبّن تساقط في الطريق إلى السماء، وما زال أثره باقياً حتّى الآن. ولهذا دَعَوْا نهر المجرة «درب التبان»^(١١).

٨. التناسخ :

يعرّف الشهرستاني التناسخ بأنّه «عقيدة تعاقب الحياة وعودتها إلى الدنيا». ويعدّ الهنود أشدّ الأمم اعتقاداً بالتناسخ.

(١٠) د. محمد التونجي، المصدر نفسه، ص ١٣٢.

(١١) د. محمد التونجي، المصدر نفسه، ص ١٣٢.

وهناك تعريف آخر للتناسخ، يدلّ على فيض الروح على الكائنات في هذه الدنيا. ويرى الشهرستاني أنّ الغلاة من فرق الشيعة هم الذين يقولون بالتناسخ وحلول المبدأ الإلهي، أو جزء منه، في بعض الناس.

وقد ظهر الاعتقاد بالتناسخ على هذا الوجه بين كثير من الشعوب، أخذوه عن مجوس المزدكية، وبراهمة الهند، والفلاسفة، والصابئة. وهو كذلك متداول بين بعض الطرق الصوفية. ويُعرف أصحابه بـ «الحلولية». وهو منتشر بين الشعوب الصينية والهندية والتبتية. ونجده أيضاً بين الشيعة والقرامطة والإسماعيلية والدروز...

واليزيديون «يعتقدون بالحلول وبسكون الأرواح مع الأرواح؛ أي بانتقال الروح من مكانٍ إلى غيره، من وضعٍ إلى رفيع، حسب استحقاقها والإنعام عليها. وعلى زعمهم أنّ شرف الدين، ابن كوكج إبراهيم، أمين نفسه من اليزيدية، جعفر من العجم، يأتي وينسخ ديانة محمد»^(١٢).

واعتقادهم هذا شبيه جداً باعتقاد الغلاة من المتصوفة، والذي يجري على أربع درجات:

(١٢) راجع إسماعيل بك جول المصدر نفسه، ص ٩٧.

١ - الرسُخ : إنتقال النفس الناطقة من بدن الإنسان إلى أجسام نباتية.

٢ - المسُخ : إنتقال النفس الناطقة من بدن الإنسان إلى أجسام حيوانية.

٣ - الفسُخ : إنتقال النفس الناطقة من بدن الإنسان إلى الجمادات.

٤ - النسُخ : إنتقال النفس الناطقة من بدن الإنسان إلى الإنسان.

ويرون أن الأرواح قسمان :

١ - الأرواح الشريرة : تحلّ في أجسام الحيوانات الخبيثة والسيئة، كالكلب والحصار والخنزير. وحلول الأرواح الشريرة في هذه الأجسام نوع من تعذيبها.

٢ - الأرواح الخيره والطيبة : تحوم في الفضاء لتكشف للأحياء أسرار الكائنات والمغيّبات، لأنها دائماً في تماس مع العالم. لذا يمضي اليزيديون ليلتهم حول جثمان فقيدهم، مشغولين بالعبادة والتضرّع والصلاة، لعلهم يرون الميت في منامهم، فيخبرهم على آية صورة سيعود، وفي جسم أيّ فئة ستحلّ روحه. وهل هو في عداد أهل جهنم، أم في عداد أهل الجنة؟ فإنّ رأوا أنّ روح ميتهم ستذهب إلى روح إنسان شكروا الله. أمّا إذا كانت

روحه ستحلّ في جسم حيوان فإنّ أفراد أسرته يبذلون ما في وسعهم من خيرات، ويعمدون إلى النذور، لعلّ روح الميت تنتقل من جسم الحيوان إلى جسم إنسان آخر^(١٣).

ومن خلال تحليل مضمون كتابي «الجلوة» و «مصحف رش» يتّضح أنّ اليزيدية تعتقد بالتناسخ المقتصر على انتقال الروح بين أجساد وشخصيات بشرية مختلفة. فقد جاء في كتاب «الجلوة» عبارة على لسان الخالق يقول فيها: «وإذا شئتُ أرسلتهُ تكراراً: ثانياً وثالثاً إلى هذا العالم، أو غيره، بتناسخ الأرواح».

ويؤكد عدد قليل من الباحثين أنّ العقيدة اليزيدية تقوم على مذهب التناسخ الشامل، أي: النسخ والمسح والفسخ والرسخ.

ويرى اليزيدون أنّ الأرواح الشريرة تتقمّص أجسام الحيوانات الخبيثة، وتتعذب بهذه العودة فتلاقي جزاءها بهذا التقمص؛ والأرواح الطيبة تبقى مرفرفة في الفضاء، وتدور في الهواء، لتكشف للناس الأحياء الأسرار المكنونة. وهي على إتصال دائم بعالم الغيب.

هذا وإنّا نرى أغنياء كثيرين، إذا ماتوا وكان لهم أولاد مسرّفون ومتمرّدون، خوفاً من أن يبدّدوا ذلك الغنى، ويضيع بيد

(١٣) أنظر النص الكامل لكتاب الجلوة في الملحق.

هؤلاء الأولاد، يطمرونه في الأرض، واضعين هناك علامة ما، معتقدين برجوع روحهم ثانية، وعندئذ يُخرجون تلك الثروة، ويعيشون في بحبوحة السعادة^(١٤).

وبناء عليه، فإن عقيدة التناسخ أصلية في المذهب اليزيدي. والعامّة يعتقدون أن رؤساءهم وشيوخهم عاشوا في جميع العهود والأزمنة بأسماء وألقاب مختلفة. وتحكي إحدى الروايات الشعبية اليزيدية: «إن منصور الحلاج، لما قتله الخليفة المقتدر بالله وألقى رأسه بالماء، طافت روحه على وجه الماء، وإن الخليفة كان قد أعطى أخت منصور الحلاج، وأنها أخذت جرّتها، وذهبت إلى الماء وملأتها وشربت، فدخلت روح أخيها المذكور في بطنها، وهي لم تدري عاقبة أمرها إلى أن ظهر حبّلاًها، وولدت ووضعت ابناً يشبه أخيها (كذا) كما كان. وصار الشيخ المذكور ابنها من النسب»^(١٥).

في التناسخ، يجد اليزيديون حلاً لكثير من المشكلات الدينية والوجودية الأساسية التي كانت وما زالت شاغل البشرية، منذ أقدم الأزمنة. وحسبهم أنهم يرون فيه بعض الأمل والرجاء بحيوات لاحقة خير من الحياة الأولى.

(١٤) نقلها السيد عبد الرزاق الحسني عن القس إسحق في كتابه «اليزيدية»،

ص ٣٢. أنظر السيد عبد الرزاق الحسني، اليزيديون، ص ٨٧.

(١٥) إسماعيل جول، اليزيدية قديماً وحديثاً، بيروت (١٩٣٤)، ص ٨٩.

٩. التحريم والمحرمات :

سلطة التحريم منوطة حصراً بالأمير دون سواء . فهو الذي يصدر أمراً بحرمان الشخص من حقوقه الدينية وحتى المدنية . ويستطيع أيضاً إصدار الأمر بفسخ الزواج، وتحريم الزوجة على زوجها . ويستطيع أيضاً حرمان رجل الدين المخالف من حقوقه الدينية، ومنع الناس من الاتصال به ومساعدته . وفتوى الأمير واجبة للاتباع غير قابلة للنقاش.

أهم المحرمات عند اليزيدية هي :

١ - تُحرّم الصلوات العمومية (صلاة الجماعة). وأما الصلوات الخصوصية (الإنفرادية) فيقوم بها الأفراد من غير جهر. والبيورة (جمع بير) يتعلمون الصلوات شفاهاً، خلفاً عن سلف، ولا يجهرون بها، بل يدمدمون بها دمدمة.

٢ - يُحرّم عليهم تعلّم القراءة والكتابة. ويستثنى من ذلك أسرة الأمير الأعظم، والذي هو من سلالة الحسن البصري^(١٦).

(١٦) يرى العارفون أنّ هذا التحريم جاء خوفاً من اطلاع أفراد الطائفة على حقائق الأديان الأخرى، فيتأثرون، ويدخلون بعض الآراء في عقيدتهم . لكن رجال الدين أجازوا التعلم مؤخراً حتى لا يكونوا متخلفين... إلا أنّ الملفت للنظر هو أنّ هذه السلطة جامدة لا تتطور مع تطور العصر، ولا تجرؤ على المناداة بالتطور رغم أنّ الشعب اليزيدي خالف أوامرها في

٣ - يُحَرِّم البصاق بصوتٍ يخرج من الشفتين، أو الفم، لأنَّهم يعتبرون ذلك شتمًا للشيطان، ويؤوَّلون غاية البصاق بهذه الصورة توجيهِ التفتلة إلى المَلَك طاووس.

٤ - يُحَرِّم لبس الثياب الزرقاء، ويلتزمون بلبس الثياب البيضاء ان كانوا من العامة^(١٧)، والثياب السوداء إن كانوا من خدمة الدين. أمَّا الثياب الحمراء فليست محرَّمة، لكنهم قلَّما يلبسونها^(١٨).

٥ - لا يجوز لهم أن يلبسوا السراويل بعد الغسل وهم وقوف، ولكن يجوز ذلك بعد قضاء الحاجة.

بعض الأحياء رغم طاعته العمياء لها فبدأ رجال الدين بإدخالهم أولادهم في المدارس. وكان اليزيديون قد وضعوا في فكَّ كماشة في بادئ الامر، فمن أرسل أولاده إلى الكنيسة والرهبان عاد له مسيحي الدين، ومن أرسل ولده الى الشيوخ والجوامع عاد له مسلمًا.

(١٧) يذكر الزمخشري في «الكشَّاف» أنَّ اللون الأزرق أسوأ الالوان عند العرب، لأنَّ الروم - أعداء العرب - كانوا زرق العينين. وما زالت قبائل الاكراد في شمال العراق تستكره الالبسة الزرقاء، في حين أنَّ اليزيدية يحرمون الازرق.

(١٨) يقولون بهذا الخصوص: إنَّ الأبيض يمكن أن يصبغ باللون الازرق. أمَّا الازرق ليس له هذه الخاصية، ووراء ذلك معنى وهو كلُّ مَنْ يولد خارجًا عن الديانة اليزيدية لا يمكنه أن يصير يزيديًا، كما أنَّ الازرق لا يمكنه أن يكون أبيض. أمَّا اليزيدي فيمكنه، إذا حاد عن طريقه، أن يتديَّن بديانة أخرى، كما أنَّ الأبيض يمكن أن يصبغ بلون آخر.

٦ - يُحَرِّم عليهم قضاء الحاجة في المراض، بل في القضاء، أو في فناء الدار، لأنَّهم يعتقدون أنَّ غيرهم يهينون الشيطان دائماً إذا دخلوا المراض، وقضوا حاجتهم فيه فكأنَّهم فعلوا ذلك على طاووسهم. وهذا إثم. ولكنَّهم تسامحوا به مؤخراً.

٧ - حرام عندهم من اللحوم: لحم الخنزير، ولحم كلِّ أنواع السمك، ولحم الغزال، كما يحرم على الشيوخ وسائر رجال الدين أكل لحم الديكة، لأنَّ طاووس ملك جاء على هيئة الديك.

٨ - حرام عندهم من البقول والخضروات: الخس، والملفوف، واللوبياء، والقرع. أمَّا الخس فإنَّهم يعتبرونه أخسَّ ما خلق الله على وجه الأرض. وإذا أرادوا ذكره قالوا: «ذلك الوحش». ويرجع سبب كراحتهم له إلى «أنَّ الشيخ عدي، في زعمهم، مرَّ يوماً ببستان، فرآه مزروعاً. فسأل عنه فلم يجبه أحد. فقال: لا يجوز أن يأكل منه أحد. وما زال الخس حتَّى اليوم محرماً على كلِّ يزيدي، حتَّى إنَّهم لا يعبرون حقلاً فيه خس».

٩ - لا يشربون من كوز، أو جرّة تبقيق، لأنَّهم يزعمون أنَّ ما ييقبِق هو روح حيَّة موجودة فيها. وعند بعضهم إنَّ من يحمل الإبريق منهم كأنَّه أعلن إسلامه.

١٠ - يُحَرِّم عليهم حلق شواربهم، أو قصّها بالمقص، إلَّا أنَّ تخفيفها مستحب، بخلاف اللحية، التي يفضل حلقها. ولا مانع من

أَنْ تُحْفَى الشوارب وَأَنْ تُعْفَى اللَّحَى. أَمَّا الشيوخ فلا يجوز لهم حلق شيء. واليوم يحلق اليزيديون لحاهم جميعاً، ويدعون شواربهم. في حين أَنَّ رجال الدين (القوَّالون)، والبيورة لا يجوز لهم حلق لحاهم.

١١ - لا يجوز لليزيدي أن يحضر صلاة المسلمين في أيِّ مكان لأنَّه إذا سمع المسلم وهو يصلي يلعن الشيطان، فحسب مصحف رش، يجب أَنْ يقتله.

١٢ - لا يجوز استخدام الجواد والفرس في التحميل.

١٣ - حرام تقليم الأظافر.

١٤ - لا يجوز الاغتسال على جنابة.

١٥ - لا يجوز الاستنجاء بعد قضاء الحاجة.

١٦ - لا يجوز أن يحلق لحية اليزيدي غيرُ يزيدي، ولا أن يحلقها بموسى حلق بها غيرُ يزيدي.

١٧ - لا يجوز لليزيدي أن يبتعد أكثر من سنة عن موطنه. وإنْ غاب أكثر من عام حُرِّمَتْ عليه زوجته.

١٨ - يحرم على اليزيدي أن ينظر إلى امرأةٍ غير يزيديَّة، ولا أن يمازحها.

١٩ - يعتقدون أن الملائكة تتصل فيما بينها في شهر نيسان، لذا يحرم عليهم الزواج في هذا الشهر؛ كما لا يجوز لهم بناء المنازل في هذا الشهر. ويقولون: إن كثيراً من الذين تزوجوا، أو بنوا في شهر نيسان، ماتوا.

٢٠ - لا يجوز لليزيدي أن يُطلع غير اليزيدي على كتابيه المقدسين. جاء في كتاب الجلوة: «وهو الكتاب الذي لا يجوز أن يقرأه الخارجون على الملة».

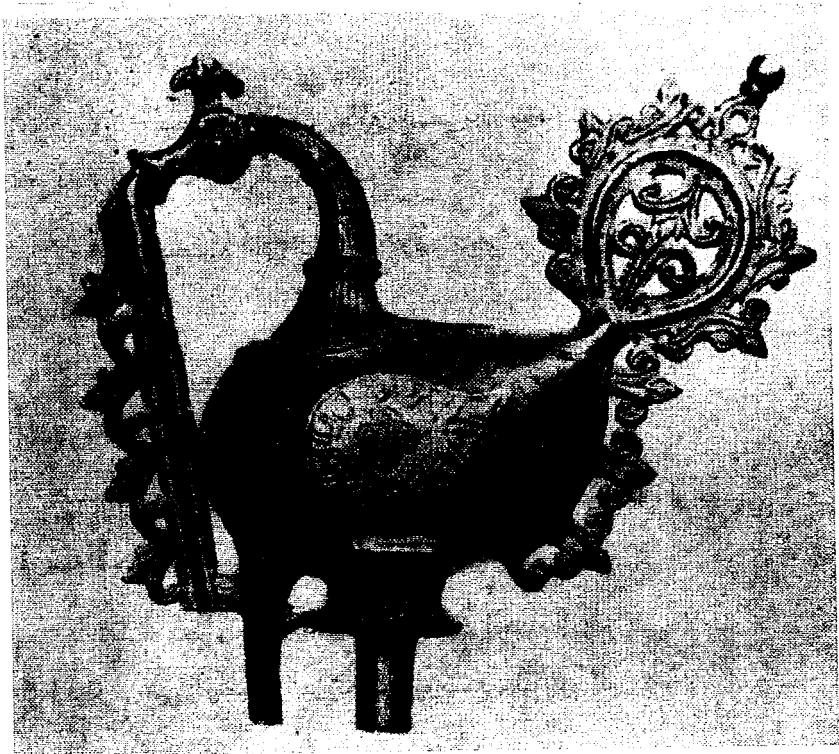
٢١ - لا يجوز لهم أن يأكلوا من ذبيحة غيرهم، ولا أن يشربوا في آنية سواهم.

٢٢ - يحرم على اليزيدي أن يفتح قميصه عن صدره. ويسمونه «الزيق» لهذا تكون فتحات ثيابهم بهيئة مدورة أو مستقيمة، وليس على شكل رقم «٧».

٢٣ - لا يجوز لليزيدي أن يدخل مساجد المسلمين، ولا مدارسهم، حيث يُقرأ القرآن، ويُفتتح بالاستعاذة من الشيطان.

٢٤ - ورد في «مصحف رش» نص تحريمي صريح يقول: «وما يجوز أن تُلفظ كلمة شيطان لأنه اسم إلهنا، ولا كل اسم يشابه ذلك مثل: قيطان، وشط، وشر، ولا لفظة: ملعون، لعنة، نعل، وما أشبه».

- ٢٥ - ألسرقة حرام عند اليزيدية، وكذلك الغش والخداع.
- ٢٦ - الزنى والخيانة في الحياة الزوجية من المحرمات المنصوص عنها صراحة في اليزيدية، وكذلك الخيانة مع الصديق والجار وغيرهما.
- ٢٧ - يحرم على اليزيديين التبول وقوفاً، ولبس الثياب قعوداً، والاغتسال في الحمامات.
- ٢٨ - يحرم على اليزيدي الاقتران من امرأة أخرى غير امرأته.
- ٢٩ - لا يجوز لليزيدي ان يبصق على الأرض، ولا على وجه إنسان، أو حيوان؛ لأن ذلك ينافي أصول ديانتهم.
- ٣٠ - لا يجوز لليزيدي أن يلقي فرسه من حمار، أو يقتني فرساً لُقحت من حمار (لكي لا تنجب له بغلاً).
- ٣١ - يحرم على «الفقراء» و«الكواجك» النوم على الأسرة، كما يحرم على الرضيع اليزيدي أن يرضع عند غير اليزيدية.
- وهناك محرمات أخرى أعرضنا عن ذكرها.



طاووس ملك

الفصل الرابع مقدّسات اليزيدية

لليزيدية - كما لغيرهم من الديانات - مقدّسات، يعتزّون بها، ويجلّونها بقدر ما تستحقّ من تعظيم وإجلال. من أهم تلك المقدّسات :

أولاً - الكتب المقدسة :

يقول اليزيديّون، كان لنا بعض الكتب، ولا نعرف عنها شيئاً. والذي سمعناه أنّ آبائنا وأجدادنا يذكرون اسم «الجلوة» و«رش». إنّهما من وضع الشيخ حسن بمعرفة الشيخ عدي. وقد ضاعت ولم يبق منها شيء.

في الواقع لا يعرف على وجه التحقيق مصدر هذين الكتابين، ولا التاريخ الذي وُضعاً فيه. وإذا كان بعض المستشرقين يقولون إنّ الكتابين كُتبا بالكرديّة، إلّا أنّ البعض الآخر يشير إلى أنّهما وضعاً باللّغة العراقية العاميّة، وأنّهما دُسا على اليزيدية لإخلالهم وإلحاق الأذى بهم^(١).

(١) عبد الرزاق الحسني، اليزيديون، طبعة ١٩٧٤.

تذكر السيدة (E.S. Drower) في كتابها «الملك طاووس»^(٢) أن كتاب الجلوة وضع عام ١١٦١ م.، بينما وضع المصحف الأسود «رش» عام ١٣٢٢ م. في حين يؤكد الباحث البريطاني «بادجر» الذي زار النسطوريين في منطقة حكاري عام ١٨٤٢ م. أنه ليس لليزيديين كتب .

يقول مؤلفا كتاب «ئيزدياتي»، وهما يزديان: نتساءل، ونسأل الباحثين، بأي لغة كتبت تلك النصوص؟

فالعزاوي ينتقد واضع كتبهم بأنه غير متمكن: فالجلوة كُتِبَ باللهجة العراقية العامية. وإذا كتب بالكردية، فلماذا ليس باللهجة التي يتكلم بها اليزيديون؟ فهل يُعقل أن يكتب الشيخ حسن هذه الكتابة، وهو الرجل المتصوِّف العالم، والذي أثنى عليه خيرة المؤرخين، كابن طولون والمقريري وابن شاكر وابن الاثير... وغيرهم؟

ولليزيديين كتاب آخر عنوانه «مزدهاروز»، وأول من ذكره، «أنور المائي» في كتابه «الأكراد في بهدينان». وأكَّده «كريم زند»، وذكر أن واضعه الشيخ حسن داسني. ويدَّعي أنه ابن أخي الشيخ عدي، كتبه باللغة الكردية ولهجة الحكاريين، بمعرفة الشيخ عدي

(٢) المطبوع عام ١٩٤١ في لندن. وأيضاً: خلف الجعدان، اليزيدية، وهو رسالة ماجستير، طبع عام ١٩٦٦ م.

نفسه. ويبدو أن هذا الكتاب مخطوط محفوظ لدى السيد حافظ. فإن نُشر كُشف خبايا لم تكن نعرفها حتماً^(٣).

ينقل الحسن بن علي بن والي الموصل، الذي لا يحدّد تاريخ ولايته، نوري بك مصطفى في رسالته «عَبْدَةُ ابليس» قوله: «إنّ واضع كتاب الجلوة راهب نسطوري كان قد فرّ من دير القوش، وأسلم ظاهراً، ثم ارتدّ ولحق باليزيدية وصار مقدّماً بين رجالهم».

أمّا ادّعاء الأب أنستاس الكرملّي بأنّ «مصحف رش» هو عبارة عن بعض صحف من القرآن حرّفوها بأنّ حذفوا منها اسم الشيطان، ولفظة اللّعة، ونحو ذلك^(٤)، فمردّه عدم تمكين الأب في حينه من العثور على كتابيهم المذكورين، ولأنّه جارٍ بعض المستشرقين في هذا الاعتقاد.

يقول الباحث اليزيديّ درويش حسّو: إنّ اليزيديّين كانوا يسألون مشايخهم عن الكتب اليزيدية فلا يحصلون على إجابة.. وكان الزعماء اليزيديّون من أمراء وشيوخ يتهرّبون من الردّ الصريح والمباشر، مكتفين بالعبادة المعتادة والروتينية القائلة إنّ كتب اليزيدية قد سُرقَت، دون أن يحاول أحد منهم أن يسأل متى وأين، ومن سرق تلك الكتب؟ وبقيت هذه المسألة دون حلٍّ إلى الآن.

(٣) عبد الرازق الحسني، المصدر نفسه، ص ٥٠.

(٤) مجلة المشرق، بيروت (١٨٩٩)، المجلد الثاني، ص ١٥٥.

وكان السائد في الأوساط اليزيدية أن كتابهم المقدس محفوظ في متحف «الكوبر» في برلين. ولكن الباحث اليزيدي درويش حسو لم يعثر عليه في أوروبا كلها، فاستنتج «أن هذا الكتاب خرافة وليس حقيقة، وأن كتاب اليزيدية الحقيقي هو «الأفستا» الزردشتية، وإن كان هذا الباحث يعترف أيضاً بعثوره على بعض صفحات اليزيدية، كتبها أناس عاشوا بينهم، ولكنهم ليسوا يزيديين وفق اعتقاده، لأن اليزيديين يؤمنون بكتمان أسرارهم وعدم البوح بالحقائق الموجودة في ديانتهم، والتي لا يفشونها لغير اليزيديين»^(٥).

وهنا يبرز منطقياً السؤال التالي من وضع إذا كتابي «الجلوة» و «مصحف رش»؟.

الحقيقة أن الأقوال والاستنتاجات والتفسيرات متناقضة ومتضاربة في ما يتعلق بهذين الكتابين الهامين على صغر حجمهما. فالدكتور حسن شميساني مؤلف كتاب «مدينة سنجار» ينقل عن العاني صاحب «موسوعة العراق الحديث» قوله: «إن مصحف رش من تأليف الحاج محمد... (هكذا فقط) في حين أن كتاب الجلوة ألفه كبير شيوخهم... (ولا يذكر اسمه)^(٦).

(٥) درويش حسو، المصدر نفسه، ص ٩-١١.

(٦) د. حسن شميساني، مدينة سنجار، (بيروت ١٩٨٣)، ص ٢٧٦.

من الأمور المتّفق عليها أنّ ما نسب إلى اليزيدية من كتب لم يبرز إلى العيان وينشر إلّا بعد وصول الإرساليات التبشيرية الغربية إلى العراق.. وأوّل من نشر كتاب «الجلوة» ومصحف «رش» هو الانكليزي براون (E.G. Browne) وذلك بالإنكليزية عام ١٨٩٥. وتوالى بعد هذه المبادرة غير البريئة - كما نعتقد - سلسلة الترجمات والتنقيحات والطبعات المختلفة للكتابين المذكورين^(٧).

ينقل الحسني عن بعض الباحثين قولهم: إنّ كتابي اليزيدية المذكورين من وضع الشمس إرميا. والدليل على ذلك أنّ العبارات المستخدمة في الكتابين تُظهر أنّ كاتبها اعتاد الكتابة السريانية، كقوله مثلاً: «لكي يُفهم ويُعلّم لشعبه»، فإنّ اللام في «لشعبه» لازمة هنا في السريانية وممنوعة في العربية؛ وكقوله: «يجب الصدقة عند أنفس الموتى»، فكلمة «عند» لا ترد هنا في العربية لكنّها

(٧) ليس من غريب المصادفة أن ينشر كتاب «اليزيدية قديماً وحديثاً» في مطبعة الجامعة الأمريكية بالذات عام ١٩٣٤ ببيروت، ويُنسب إلى الأمير اليزيدي إسماعيل بك جول. وفيه أقوال وتفسيرات يرفضها اليزيديون اليوم، وأقل ما يقال عنها إنّها تسيء إلى هذه الطائفة وتعطي المسوغات لأنّهامها بالارتداد والضلال. ولا تستند إلى مصادر تاريخية ودينية موثقة يركن إلى موضوعيتها وواقعيتها. بل لم يحاول واضعوها الحصول ولو على شهادات شفهيّة لشيوخ هذه الطائفة والقائمين على تنفيذ تعاليمها وطقوسها.

ترد في السريانية. ويبدو أن واضعها كان مسيحياً سريانياً اعتاد التعابير الدينية المسيحية السريانية، مثل قوله: «رئيس هذا العالم»، وقوله: «العلمانيين».. إلخ.

إنّ الشماس إرميا ألحق بالكتب التي نسبها إلى اليزيدية أشياء من عقائد عبدة إبليس وعاداتهم، وجرى في كتابتها مجرى السريان أيضاً، فألحق الفصل بضمير الجمع، مع ذكر فاعله كما يفعل السريان كقوله في كتاب «الجلوة»: «الذي يسمونها الخارجين شرور»؛ وقوله: «لأنكم لستم تدرون ما يفعلون الأجانب». وعرف الصفة بأل التعريف مع تنكير الموصوف كقوله: «وأحرّك أمور اللازمة»، وكقوله: «دعى اسمه إبريق الأصفر».

وفي المصحف الأسود «رش» أمور حديثة جداً. فقد ذكر فيه بلاداً أنها روسية، وهي لم تدخل في حوزة روسية إلا في الربع الأول من القرن التاسع عشر.

وليس المراد أن كلّ ما ورد في هذه الكتب غير صحيح، كلاً، بل إنّ كثيراً مما ذكر فيها ينطبق على عقائد يزيديّة وشعائريهم الدينية التي يمارسونها، وإنّما مرادنا أنّ الشماس إرميا ألفها، وجمع فيها عقائد اليزيدية التي يتناقضونها خلفاً عن سلف، لأنّه عاشهم زمناً طويلاً^(٨).

(٨) المقتطف، ج ٤٩ (١٩١٦)، ص ٢٢٢-٢٢٣؛ الحسن، ص ٥٢-٥٤.

وقد يكون على حد قول عبد الرزاق الحسني: إنّ الكتابين المذكورين لم يوضعا أصلاً بالعربية. وقد يكون الشماس إرميا ترجمهما إلى العربية بأسلوبه السرياني، إذا اخترنا التفسير الايجابي للمسألة. والأرجح أنّ الأصل كان بالفارسية، (وفق رأي الباحث اليزيدي درويش حسو)، أو بالكردية، ثمّ جرت عملية (أو عمليات) النقل والترجمة إلى العربية وغيرها من اللغات لاحقاً^(٩) وسوف ننشر النصّين للكتابين في ملحق خاصّ.

ثانياً - الأماكن المقدسة :

يعتقد اليزيديون أنّ الله تعالى كان يسكن في «وادي لالش»، أحد جبال حكاري. ولهذا فقد أصبحت منطقة لالش هذه مقدسة، على وجه الأرض، بل هي أقدس بقعة فيها - كما يعتقدون-. «لالش» في الأساس قرية تقع في وادي بمنطقة جبلية مشجرة من جبال شمال العراق. وقد دفن الشيخ عدي بن مسافر في زاويته في لالش التي صارت عند اليزيديين «بيت الله المقدس»، وحول ضريحه شيدت مزارات (مقامات) الملائكة السبعة، ومزارات أخرى لشيوخ الطائفة المبجلين والذين يشغلون مكانة متميزة.

(٩) التفاصيل عند د. خلف جراد، اليزيدية، ص ٣٧-٤٦.

ذكر بعض المؤرخين أنه كان في مقبرة الشيخ عدي ثلاثة قبور بارزة، يقدّسها اليزيدية:

أولها: قبر الشيخ الكبير، عدي بن مسافر.

الثاني: قبر ابن أخيه صخر الثاني، وهو على يمين الباب المؤدي إلى مضجع عمّه.

والثالث: ينسبونه إلى الشيخ حسن بن عدي الثاني، ويقال إنه في زمنه ظهر الغلو في الطريقة العدوية. ونعته اليزيديون بـ «البصري» جهالة منهم. وفي زمنه، بدأ الزيغ في الجماعة العدوية، فظهر الضلال بين معتنقيها^(١٠).

أما أهم المزارات والمراقد اليزيدية الواقعة في أطراف لالش والمناطق المحيطة بها، أو في مناطق أخرى، فهي:

١ - مرقد محمد رشان، يقع في سفح جبل مقلوب، يحاذي قرية «كليشين» وهو من أصحاب الشيخ عدي.

٢ - مرقد عبد رش، كان خادماً للشيخ عدي. ومزاره في قرية كندالة.

٣ - مرقد شيخ محمد، مزاره في قرية عين سفني. يعتقدون أن ترابه يفيد في معالجة القروح والرمم.

(١٠) درويش حسو الازدهيون اليزيديون، ص ٧٥ - ٧٩.

مَقَسَّاتُ الْيَزِيدِيَّةِ ٩١

- ٤ - مرقد شيخ حنتوش، مزاره في قرية عين سفني.
- ٥ - مرقد شيخ شمس، إسمه الكامل الشيخ شمس أبو محمد الحسن بن عدي الثاني، ومزاره في قرية عين سفني أيضاً. كما أنَّ له عدة مقامات في الشيخان وسنجان.
- ٦ - مرقد الشيخ مند، مزاره في قرية عين سفني وله مزار في حلب.
- ٧ - مرقد الشيخ شمسان، ومزاره في قرية عين سفني.
- ٨ - مرقد الشيخ إمشكح، مزاره في قرية إشكفتيان، وكان أحد تلاميذ الشيخ عدي.
- ٩ - مرقد الشيخ فخر الدين، ومزاره في قرية مام شفان.
- ١٠ - مرقد الشيخ حسن، ومزاره في قرية إيسيان.
- ١١ - مرقد الشيخ محمد، ومزاره في قرية دوغات.
- ١٢ - مرقد الحاج رجب، ومزاره في بيرستك.
- ١٣ - مرقد الشيخ فارس، ومزاره في قرية حطارة.
- ١٤ - مرقد الشيخ ميران، ومزاره في قرية بعشيقية.
- ١٥ - مرقد ناصر الدين، ومزاره في قرية بعشيقية.
- ١٦ - مرقد الشيخ شيدك، ومزاره في قرية بعشيقية.
- ١٧ - مرقد الشيخ أبو قحوف، ومزاره في قرية بحزاني.

وهناك مرآقد أخرى عديدة يضيق المجال لذكرها هنا. يزورها اليزيديون للاستشفاء والاستسقاء.

أمّا المزارات التي يحجّ إليها اليزيديون فعديدة جداً ومن أهمها:

١ - مزارات قرية بعشيقية: شخص الشيخ محمد، شخص الشيخ أبي بكر، شخصاً مسعود ومسعود، شخص الست نفيسة، شخص راس العيون، شخص الدراويش.

٢ - في قرية حَتَّار (حطارا) شخص ناهش.

٣ - في قرية بابيرا، شخص باطي.

٤ - في قرية كويجن شخص الشيخ عنزروت.

٥ - في جبل سنجار، مزار الشيخ شمس الدين تَوْرِس بقبته المخروطية (يُزار بين ٢٠ و ٢١ من تموز الشرقي كلّ عام، ويحضر بعض المسلمين هذه الزيارة أيضاً).

٦ - ومزار الشيخ بركات في قرية «تخمي عوج».

٧ - ومزار الشيخ دقيق بين قريتي «ممسكي» و «بارة».

٨ - ومزار الشيخ محمد رشان شمال قرية «تية».

٩ - ومزار الشيخ الرومي السنجاري في شمال الجبل.

١٠ - مزار الست زينب بنت علي بن أبي طالب، في شرقي سنجار، وتنتسب إليها طائفة اليزيدية، الباباوات.

وهناك عدد كبير من المزارات في قرى اليزيديين وقراهم وحواضرهم. وأكثر من مزار في كلّ منها يقدّسها أبناء الطائفة إلى درجة عالية من الإجلال والتكريم.

ثالثاً - مقدّسات يزيدية أخرى :

هناك مقدّسات أخرى يتوجّب على اليزيدي أن يعرفها ويحترمها، تدخل في سياق واجباته الدينية والاعتقادية^(١١)، ومنها:

١ - البراة :

هي طين يابس مأخوذ من تراب منطقة معينة من تراب مرقد الشيخ عدي بن مسافر. على اليزيدي الذي يحصل عليها أن يحتفظ بها، ويغلفها بالقماش، أو النايلون، حفاظاً عليها من التعرّض للتلف، ويحملها في جيبه كتعويذة، أو كحرز لاتقاء كلّ مكروه.

وللبراة خدمة مقدسة عند اليزيدي، فإذا احتضر اليزيدي يُذاب شيء من هذه البراة في قليل من الماء، وتُصبُّ قطرات منه في فم المحتضر، ويُرشُّ بعض من بقيّة القطرات على وجهه بعد وفاته، والبعض الآخر يوضع في كفّي الميت وأطراف.

(١١) درويش حسو، الازداهيون اليزيديون، ص ٧٥-٧٩.

وقبل وفاة اليزيدي يجب أن يحضر عنده شيخه و«أخ الآخرة»، حيث أن التقاليد اليزيدية توجب على كل يزيدي أن يتخذ له شيخاً دينياً يرجو به الشفاعة لدى الله في الآخرة. وكذلك عليه أن يختار «بير»، وهو شيخ الطريقة، أو الرئيس المسن. وهذا يلي الشيخ بالمرتبة. وهو مرشدهم إلى تعاليم المذهب. كذلك يتحتم على اليزيدي أن يختار «أخ الآخرة» الذي يتخذه كل يزيدي. فإذا لم يكن أحد منهم موجوداً فبالإمكان وضع البراة من قبل أي شخص بشرط أن يكون كبير السن.

وكانت تستعمل البراة كعلامة للسلام بين عشيرتين، أو عائلتين، وقع بينهما خصام، فيتم تبادل براة بينهما، توثيقاً وضماناً للسلام والحب، فتكون بذلك دليل محبة وسلام.

ولقد شاهدتُ عدداً من أصدقائي اليزيديين يحملون البراة في جيوبهم ملفوفةً بقماش أبيض أو ملون. ويقوم اليزيدي بتقبيل البراة حينما يخرجها من جيبه لكونها مقدسة. ويجب عليه، قدر الإمكان، حمل واحدة منها.

وتستعمل البراة كذلك لشفاء المرضى، واتقاء الشرور، وحماية من يحملها.

٢ - مسألة الكرافة :

الكرافة، بمعنى الصداقة، إلا أنها بالتأكيد أقوى من الصداقة.

والعادة أن يتخذ اليزيدي من ضيفه، أو معارفه، كريفاً. ويكون هذا الكريف مُسَلِّماً. ويحبَّذ أن يكون مسيحياً.

واليزيدي يحترم الكرافة ويقدّسها ويؤدّي جميع ما تحتمه عليه من واجبات الأخوة. فهو أمين على عرض كريفه، ويشاركه في أحزانه وأفراحه، ويتقدّم لمساعدته عندما تحلّ به نكبة، ويضحّي بنفسه دفاعاً عن حياة كريفه، ويدافع عنه، ويحافظ عليه.

وتتمّ المكرافة بأن يضع اليزيدي طفله في حضن الرجل عند ختانه، فإذا سقطت قطرة دم من الطفل المراد ختانه في حضن الرجل سمّي هذا الطفل «الكريف» «كريف الدم»، وبالكردية (كريف خونى). وهذه الكرافة لا تقبل الانفصام. واليزيدي يكون درعاً وقائياً للدفاع عن كريفه. وإذا ما كان هذا الشخص يزيدياً فيدخل في محرّمات الآخر إلى خمسة أجيال.

ولم تضعف المكرافة في كلّ الأزمنة، وبقيت تمثّل على مدى الأجيال سموّ العلاقة الإنسانية والحياة ضمن منطقة معيّنة، بأديان متعددة ومختلفة^(١٢).

والكرافة تخلق نوعاً حميماً من العلاقة الإنسانية. فهي تُضفي نوعاً من التآخي والتآلف في المنطقة، إضافة إلى أنّها تخلق

طمأنينة وحماية إلى اليزيدي وكريفه، وثقة وقوة حتى بين اليزيدية أنفسهم. ويجب أن يؤدي الكريف أيضاً ما تحتمه تضحية اليزيدي له^(١٣).

وبالتأكيد إن الكرافة تتأثر مع تأثر كل القيم داخل المجتمع قوة وضعفاً. كما أنها ليست طقساً دينياً لدى اليزيدية، وإنما هي تقليد عشائري نابع من ضمير إنساني أملت ظروف معينة، واستمر العمل بها بشكل مستمر، وأصبحت من عادات المجتمع اليزيدي النبيلة.

٣ - الخرقة :

الخرقة عندهم تصنع من الصوف الصافي، وتصبغ بأوراق وقشور شجرة «زركون»، فتكتسب عندئذ اللون البني الغامق. وقبل أن يرتديها «الدرويش اليزيدي» يجب أن تغسل بالمياه المقدسة المأخوذة من نبع «كانياسبي» المقدس، وبعد غسلها لا يجوز إهراق مياهها تلك إلا في موضع طاهر نظيف.

والخرقة كانت لباس أولياء اليزيديين وذوي الكرامات منهم. ويعتقد اليزيديون أن «الخرقة» نزلت أول مرة من لدن الله تعالى بصورة عباءة. وهي ترمز للستر والحجاب وكسر التكبر

(١٣) درويش حسو، المصدر نفسه، ص ٨٢.

والترقّع. كما يعتقدون أنّ مَنْ لبس الخرقة صار درويشاً زاهداً محباً للآخرة أكثر من الدنيا. وإنَّ أوّل مَنْ لبس الخرقة، وأصبح درويش اليزيديّة كان الشيخ بكر، وسمّي «الشيخوبكر فقير».

وبعد ذلك أصبح لباس الخرقة طقساً وشعاراً لأصحاب الكرامات والولاية من اليزيديّين. ولهذا فإنَّ كلّ درويش، أو فقير يزيدي، يطلق عليه «الفقيرتي» يحلّ له لباس الخرقة.

وإذا قرر أحدهم ان يلبس الخرقة فعليه ان يسأل «أخ الآخرة» عن رأيه، ويتوجّب عليه ان يقدّم أضحية للخرقة، وبحضور «أخ الآخرة» و «بيره». ويقوم شيخه بالباسه الخرقة. ويُقام بهذه المناسبة احتفال دينيّ يحضره «الشيخ» و «البير» و «أخ الآخرة». وعلى مَنْ اختار لبس الخرقة أن يقسم علناً وأمام الجميع بأنّه سيقوم بكلّ واجباته الدينيّة، ويقدّس الخرقة ويخدمها أفضل خدمة. ولا يحقّ له أن ينزعها إلّا للغسيل، أو رثي ما اهترأ منها. وعند موت لابس الخرقة يُدفن بخرقته فلا يفارقها أبداً.

لابسُ الخرقة شخصٌ محترم عند اليزيديّين كافة. إذا لتقى بأيّ يزيديّ في أيّ مكان، يتوجّب له كلّ واجبات الاحترام والتقدير. ومنها تقبيل الخرقة. ويسمّى هذا العمل بـ «خرقة طواف يون». ولا يجوز الاعتداء على لابس الخرقة مهما كان تصرّفه أو حديثه. وإذا ضرب لابسُ الخرقة رجلاً ما من الطائفة اليزيديّة، توجّب على

المضروب أن يقف مكتوف الأيدي، خاشعاً صابراً. ولا يحق له الردّ بالمثل بأيّ شكل كان، ومهما كان الظرف وقسوة الضرب.

ولا يجوز لليزيدي أن يحلف بالخرقة كذباً وزوراً، فذلك تعدّ من أكبر الكبائر والآثام عندهم. وتعرض الخرقة في أيام الأعياد، وخاصة في أعياد الـ «سري صال» (السرسالي)، أي رأس السنة، وفي عيد القربان، أي عيد الأضحى، لكي يتبرّك بها الزائرون ويطوفون .

٤ - المقتول :

وهو مدخل الرأس للقميص الداخلي، حيث يجب أن يكون قميص اليزيديّ الداخلي مزوداً بخيطٍ عند مدخل الراس. ويسمّى «الضريفان»، أو «الخيط المقتول». ويسمّى أيضاً «الطوق اليزيدي». ويمكن الاستدلال على اليزيدي بواسطة هذا المقتول. وهو رمزٌ من رموزهم المقدّسة.

٥ - المحك :

وهو أيضاً حبل رفيع يربطه اليزيديّون حول البطن. ويعدّ من الإشارات والرموز اليزيديّة. وتقتضي شعائريهم أن يربط كلّ يزيدي مؤمن «المحك» مثلاً يربط «المقتول» تماماً.

٦ - كُوكُك :

هي القبعة المقدّسة عند اليزيدية. وتُصنع من الصوف الخالص. ويلبسها «الفقير» على رأسه. وفي اعتقادهم أنّ «الكُوكُك» تمنع الأذى. ولا يجوز الحلف بالكوكك، لأنّ ذلك من الإثم عندهم .

٧ - الدفّ والشبيب :

من مقدّسات اليزيدية: الدفّ والشبيب (الشبابة)، والمزمار. وهي آلات موسيقيّة يستخدمها اليزيديون في طقوسهم الدينيّة وأعيادهم وحفلاتهم الخاصة والعامة.

٨ - أماكن وأشجار... :

يضاف إلى كلّ هذه، مجموعة من الأماكن والأشجار والأدوات ذات المكانة المقدّسة لديهم. لا حاجة لذكرها هنا خوف الإطالة والممل.



أحد فقراء اليزيدية

الفصل الخامس

الحياة الاجتماعية عند اليزيدية

كان المجتمع اليزيديّ مغلقاً إلى فترة قصيرة. له صفاته وطبيعته الخاصة، بأسراره وطلاسمه، بعباداته وتقاليده، بأفراحه وأتراحه. فلم يكن يتسنى للباحث الولوج فيه والكتابة عنه. إنما استقصينا المعرفة من زملاء يزيديين ما يروق نشره ومعرفته عن طبيعة الحياة الاجتماعية عند اليزيدية. فنقول :

أولاً - الأسرة :

تتكوّن الأسرة اليزيدية عادة من الأب والأم والأولاد. وتضم في أغلب الحالات، الجدّ والجدة، والأقرباء من الأعمام والعَمّات، والإخوة والأخوات، والأخوال والخالات التابعين لربّ الأسرة. ونستطيع القول إنّ الأسرة اليزيدية هي النموذج المصغّر لنظام الدولة القديمة. فكما كان الملك قديماً يدير شؤون الدولة بسلطة مطلقة، هكذا يدير الرجل شؤون الأسرة بسلطة تكاد تكون مطلقة.

فله السيطرة الكاملة في إدارة شؤون البيت وسكانه. فهو الذي يقيم العلاقات الاجتماعية مع بيت الشيخ والبير مثلاً، وهو الذي يمثل الأسرة في المجلس الذي يكون فيه الشيخ أو البير أو القوال، وهو الذي يتكلم باسم الأسرة ويرفع شأنها بين الأسر والمجتمع^(١).

إنّ هذه السيطرة القويّة والكاملة التي بيد الرجل اليزيدي ترجع إلى أنّه على عاتقه تقع المسؤوليات والمهمات من الأعمال والأشغال^(٢). وهو الذي يؤمّن معيشة العائلة بما حصله من الأموال والغلال.

تستمرّ سيطرة الأب الأكبر على الأولاد وأولادهم وزوجاتهم فتشكل بهذا النظام الأسرة الكبيرة. هذه الظاهرة تلاحظ خاصة عند الأسر التي تمتاز بثرائها، أي تملك الأموال والبساتين والأراضي مع قطعان الأغنام والأبقار، حيث تحتاج إلى الأيدي العاملة التي توفرها الأولاد والأحفاد وزوجاتهم؛ فتبقى العلاقة متينة بين هؤلاء والأب الأكبر. فلا يترك الأولاد الأب والأماً بعد الزواج؛ بل يبقون مرتبطين بهما.

أمّا دخل الأسرة اليزيدية فيأتي من الزراعة، ولا سيما زراعة الحنطة والشعير والذرة والزيتون، كما يقوم على صناعة الزيتون

(١) جورج حبيب، اليزيدية بقايا دين قديم، ط ١ ص ١٥.

(٢) د. سامي سعيد الاحمد، اليزيدية، أحوالهم ومعتقداتهم، ص ٣٠.

المخلل، وزيت الزيتون، والصابون، والتين المجفف. وزراعة الزيتون تكتسب أهمية خاصة لديهم نظراً لاستخدام زيتته في بعض الشعائر الدينية.

وتحترف بعض العشائر اليزيدية، مثل الهيديرية، تربية المواشي ورعيها مثل الغنم والمعز والبقر. كما يمتهن بعضهم الآخر خاصة في بعشيقة وسنجار وبحزاني، الحياكة والنجارة والحرف اليدوية الأخرى. ومؤخراً تقلد بعض أولادهم الوظائف في الدولة، ولا سيما في سلك التعليم .

ثانياً - تقاليد الزواج :

١ - الخطوبة :

تتم أولاً بالتفاهم بين الشاب والشابة. فيقوم الشاب بإرسال والده إلى دار الفتاة ويفتح أهلها في أمر الخطوبة فيعيّن الموعد لإعلان الخطوبة الرسمية، وفي اليوم المعين يعلن عن المهر، وغالباً ما يكون محدّداً في جميع العوائل.

يقصد أهل الشاب مع الأهل والأقارب والجيران والأصدقاء لخطوبة الفتاة، أولاً الرجال ثم النساء والأطفال، ويأخذون معهم الحلوى الذهبية والفضية مع الحلويات والمعجنات. وتقوم أخت

الشاب الكبرى، أو زوجة الشيخ، بإهداء الحلي وبحضور مجموعة من صديقات الفتاة المنوي خطبتها.

في هذا اليوم لا يدخل الشاب بيت خطيبته، ولكن بعد يومين أو ثلاثة، يذهب ومعه مجموعة من أقاربه إلى بيت الخطيبة، ومعهم الخمر (العرق) والفواكه مع الحلويات والنقولات؛ ويجلسون في بيت الفتاة لتناول الطعام وشرب الخمر. ومن هنا تصبح زيارة الخطيب إلى بيت خطيبته طبيعية ومقبولة، وتسمى هذه الزيارة عند اليزيدية في بعشيقه وبحزاني بـ (فتح الدرب).

والفتاة المخطوبة، يجلب لها الخطيب في كل عيد من أعياد اليزيدية هدية رمزية، عبارة عن قطعة قماش ثمينة، ومعها شيء من الطعام الذي قد طبخه أهله، فيأخذه ويلفه بقطعة القماش تلك، أو مع كمية من النقود، أو أي شيء آخر، فيقدمه الخطيب لخطيبته.

ولا تحدّد مدة الخطوبة بفترة معينة، ولكنها قد تطول أحياناً إلى أكثر من شهر أو عدة أشهر، حتى السنة.

٢ - الزواج :

بعد أن تتم الخطوبة وتنفذ الشروط المتفق عليها، تستعد العائلتان لإقامة حفلة الزفاف. يحدّد الطرفان اليوم الموعود .

يقوم أهل العريس في اليوم المحدّد -وعادة يكون يوم الخميس- بدعوة جميع الأهالي والأقارب والمعارف والأصدقاء من

أبناء المحلة والجيران ليقوموا بعملية «خَبَز الخُبْز»^(٣)، حيث يأتي الجميع إلى بيت العريس، ويجلبون معهم السفحة، أو بُطْل العصير (أي قَنينة) في الحالات التي يكون الشاب (العريس) وحيداً لأهله. ويقوم الأهل بضرب الطبل والزرناية، وتنبعث الزغاريد، وتختلط بأصوات التصفيق والأغاني الخاصة بهذه المناسبة.

وفي نفس الأسبوع يقوم أهل العريس بتوزيع (الخَلْع)^(٤). وقبل يوم الزواج يقومون بعملية (جَبْل الحَنَّة)^(٥). وتقوم أخت العريس أو زوجة الأخ الأكبر -والغالب أخته- بتوزيع الحَنَّة على أبناء المحلة والجيران والأقارب، ثمَّ يأتي المساء الذي يُسمَّى «الأمسية»^(٦)، فيتوافد أصدقاء العريس مع الأقارب والمعارف إلى دار العريس ليلاً لعقد حلقات الرقص والغناء. أمَّا النساء فيقمن بتهيئة الطعام لليوم الثاني.

(٣) خبز الخبز هي من العادات المتبعة عند اليزيدية حتى هذا اليوم. تقوم بها العائلة بإعداد كميات كبيرة من الخبز.

(٤) الخَلْع، هدايا توزع على أقرباء العريس وقد تكون حذاء، أو قميصاً، أو قطعة قماش، أو مصوغات ذهبية بحسب درجة القربى والمكانة.

(٥) جبل الحَنَّة أو عملية إعداد الحَنَّة تقوم بها أخت العريس وتوزعها على أولاد وبنات الجيران والأقرباء وأبناء المحلة.

(٦) الأمسية، هي الليلة التي قبل يوم الزفاف حيث يقصد بيت العريس أصدقاؤه وأقرباؤه من الشباب للرقص والغناء وإحياء حفلة مناسبة تليق بالعريس والعروسة.

وفي صباح اليوم الثاني يذهب الجميع إلى دار العريس أيضاً. ومن هناك يقصدون دار العروسة، ولا يبقى مع العريس إلا بعض من أصدقائه المقربين، والنساء منشغلات بإعداد الطعام وخاصة أكلة «السَّمَق»^(٧).

وفي الوقت نفسه، تأتي زوجة الشيخ إلى بيت العريس لغاية قطع «الستغ»^(٨) الستارة. وهنا تذهب أخت العروسة إلى بيت العروسة وعلى يدها صينية مملوءة بالحلويات المختلفة، مع حذاء نسائي أبيض مع الإكليل^(٩).

وتقوم الشيخة (زوجة الشيخ) بضفر الإكليل واللباس الحذاء بعد الجوارب للعروسة. ثم تأخذ ماءً وتسقيه للعروسة. ومن ثم تأخذ بيدها لتخرجها من دار أبيها بعد أن يكون أخوها الأكبر، أو أبوها، قد أخذ بيدها وأنهضها من مكانها، فتقودها الشيخة، أو الأخت، إلى بيت العريس.

(٧) السَّمَق، وهي أكلة خاصة تُهيأ بهذه المناسبة. توضع بالمرق بدل الباميا أو الفاصوليا أو القرع الحلو، ويُغلى. وقد يوضع فيه نوع من الكبة الصغيرة ويوزع على الجيران والأقرباء كوجبة طعام الغداء.

(٨) قطع الستغ، والستغ عبارة عن قطعة قماش (ستارة) يقطع بها غرفة العروس كحجاب للمخدع يحجبه عن أنظار أهل الدار.

(٩) الإكليل، قطعة قماش بيضاء توضع فوق رأس العروس بشكل حجاب.

وهنا تتم عملية أخذ الملاءق من بيت العروسة، فيحاول كل شخص أن يحصل على ملعقة، رمزاً لتحقيق الهدف.

أمّا مراسيم الزواج فهي عبارة عن قرص من الخبز، يؤخذ من منزل أحد رجال الدين، ويُقسّم فوق رأس العروسين، وعلى كل واحد منهما أن يتناول نصفه ويكون هذا العمل بمنزلة عقد القران. وإن لم يجد خبراً تناولا قدرًا من «البراة»، أي الطين المقدس، ويكون الشيخ والبير وأخ الآخرة، أو الأخت، حاضرين مع العروسين.

وحين يبدأ حفل الزفاف يُحضر ذوو العروسين المشروبات، ويدعون الأقرباء، ولا سيما أبناء العمّ وبناتهم، ويُقيمون حفلات الطرب. فالشباب يضربون على الطبول ويزمّرون بالمزامير، والبنات يرقصن. ويستمرّ الحال على هذا المنوال ثلاثة أيام بلياليها.

وفي الليلة الثالثة، يأخذون العروسة إلى بيت عريسها ماشية ببطء، وخلفها المنشدون والعازفون؛ في حين أن نساء القرية يزغردون طول الطريق^(١٠). وحين تدخل العروسة منزلها الجديد يضربها العريس بحصاة صغيرة، ثمّ يكسر فوق رأسها رغيفاً ليفهمها أن تكون عطوفة على الفقراء. وهذان الأمران الأخيران (الحصاة وكسر الرغيف) مذكوران في «مصحف رش».

(١٠) يكون هذا بمثابة إعلان الزواج وحتى لا يعارض أحد عليه ويقول «هذه ليست زوجته»، أو بالعكس «هذا ليس زوجها».

وليلة الدخلة يأتي الشيخ، ويأخذ بيد العريس، ويدخله حجلة العروسة، ثم يجعل يدَ العريس بيد العروسة، ثم يسألها الشيخ: مَنْ أنتِ؟ فتقول: أنا بنت فلان. ثم يقول للعريس: مَنْ أنتِ؟ فيقول: أنا ابن فلان. فيسأله: أتريد هذه الشابة امرأةً لك؟ وأنتِ أيتها الشابة أتريدين هذا الشاب رجلاً لك؟ فيقول كلُّ واحدٍ منهما: نعم.

ثم يأخذ الشيخ صبغاً أحمر يُشبه الحبر، ويُعلم به ما بين كتفَي العروسة والعريس وجبيئيهما.

ثم يأخذ قضيباً طوله شبران أو ثلاثة، ويجعل طرفيه بين يدي العروسين، ثم يقول لكلِّ منهما: «إكسر هذا القضيب». فيلوي كلُّ واحدٍ منهما الطرف الذي بيده، فينكسر القضيب من وسطه، ويبقى النصف الواحد بيد العريس، والنصف الآخر بيد العروسة. ثم يقول الشيخ لهما: «وهكذا أنتما تبقيان متَّحدتين إلى أن يفرَّق بينكما الموت، كما فرَّقَت القوة بين طرفي هذا القضيب الذي كان واحداً». وهذا يدلّ على أنّ الطلاق نادر بين اليزيدية.

ويحضر الشيخُ وحدَه حفل القران هذا. أمّا بقيّة الناس فينتظرون في ساحة الدار. وبعد أن يُتمّ الشيخ عقد القران هذا يَخرج ويُغلق البابَ عليهما، ويَقف بالباب أحدُ أصدقاء أهل العروسين وبيده البندقية مُلقمة، ينتظر أن يُريَه العريسُ المنديلَ وعليه علامةُ فضِّ البكارة من خلف الحجلة (أو الباب). وحالما يراها يطلق عياراً نارياً من بندقيته، فيبتهج الحضور ويصفقون. وعندئذ

يعلن الشيخ أن الاحتفال قد تمّ. فيرجع كلّ واحد إلى داره، ويبقى العروسان بدون عمل سبعة أيام.

ومن آداب اليزيدية أنه إذا مرّت العروس (وموكبها الاحتفالي) في طريقها بمسجد أو مقام لأحد الشيوخ، أو كنيسة مسيحية، أو ديراً، وجب عليها (وموكبها) زيارة المكان المقدّس، كما يجب عليها زيارة دار «البيير» أو «الفقير» في القرية. فإذا دخلت دارها الجديدة، قدّمها عريسها الذي ينتظرها عادة على عتبة الدار بحقنة من التراب إشعاراً لها بسلطته عليها.

٣ - زواج الخطيفة :

حينما يبدأ الشاب بمكاشفة أبيه، والفتاة أمّها بما اتّفقا عليه من الزواج، ووجدوا مقاومة، يصحّ للشاب عندئذ أن يخطف الفتاة، فيهرب بها إلى إحدى القرى، فيتزوّجها زواجاً شرعياً بحسب السنن اليزيدية «دون مهر ولا صداق»^(١١).

وبما أن «عادة التهريب» أو «الخطف» ليست عاراً كما يتصوّرها بعض الناس^(١٢)، فإنّه لا بدّ من تدخل أحد العقلاء

(١١) يقول ضديق الدموجي في كتابه اليزيدية، ص ٢٩٩: إنّ هذه العادة أبطلت في الأيام الأخيرة. وأصبح من الضروري أن ترغم الفتاة المخطوفة زوجها على تادية مهرها إلى ذويها، وإذا تباطأ تتركه وتعود إلى أهلها.

(١٢) يقول الدموجي أيضاً ص ٢٧١: إنّ تهريب النساء والفتيات عند اليزيدية

لإصلاح ذات البين وإرجاع العروسين إلى قريتهما. وتجري حينئذ المفاوضات مع الأهل لتعيين المهر وموعد الزفاف الرسمي.

وإذا حدث أن خطف رجل امرأة رفيقه وذهب بها إلى مكان فيه يزيديّة، فيسترونها ويحفظونها عندهم. لكن الواجب على الرجل أن يجازي أهلها بمبلغ من المال، أو يعطي إمرأته الأولى للرجل الذي خطف زوجته، أو يعطيه أخته أو أية واحدة من عائلته (تعويضاً). ويفعل الشيء نفسه مع من يخطف ابنة غير متزوجة، أو امرأة عجوزاً.

٤ - أحكام الزواج :

يقول بعض الباحثين إنه يحق لليزيدي أن «ينكح ما طاب له من النساء مثنى وثلاث ورباع»، كما في الشريعة الإسلامية. ولكن يُحرّم عليه أن يجمع بين امرأتين اثنتين من غير رضى الأولى وموافقتها. وإذا رُزق أولاداً من أولى نسائه لا يسمح له أن يتزوج -بوجودها- من امرأة أخرى»^(١٣).

ولا سيما في جبل سنجار عادة مألوفة لا يرون فيها عاراً ولا منقصة، بل بطولة، وقد تدعو بيئتهم وحالتهم الاجتماعية إليها، ولا يمكن اجتنابها، وكثيراً ما تسهل الأمهات في سنجار أسباب التهريب لفتياتهن لمن يقع عليه اختيارهن في الرجال. وفي اليوم الثاني يتمّ الصلح بتوسط أحد الشيوخ أو ذوي النفوذ والمكانة من الرؤساء.

ويُحرّم على اليزيديّ الزواج من زوجة أخيه، أو زوجة عمّه، بعد موتهما. كذلك يُحرّم عليه الزواج من أخت زوجته بعد طلاقه من أختها أو موتها. وتُحرّم عليه زوجته إذا قال لها: «أنتِ شيخي»، أو: «أنتِ بيّري»^(١٤).

ومُحرّم الزواج عندهم في شهر نيسان، وذلك إكراماً لهذا الشهر، لأنّه أبو الورود، ولأنّ الأنبياء يمتنعون عن الزواج فيه، كما يقول رئيسهم إسماعيل بك جول^(١٥). أمّا الباحث اليزيديّ درويش حسّو فإنه يفسّر تحريم الزواج في نيسان «إكراماً للملك طاووس، لأنّ الملك طاووس نزل في هذا الشهر على الأرض؛ وكذلك في يوم الأربعاء، فإنّ الزواج حرّم في هذا اليوم أيضاً»^(١٦).

وتؤكد مصادر أخرى أنّ الزواج والوطء يُحرمان على اليزيدية في أيام الأربعاء والجمعة إلّا على الكواجك، فإنّهم يتزوّجون حينما يشاؤون^(١٧).

(١٤) الحسن، اليزيديون، ص ٨٩-٩٢. بينما درويش حسّو يقول: «إنّ الشريعة تمنع الزواج من امرأتين -في آن واحد- إلّا إذا ماتت الأولى أو طلقت» (حسّو، الازدهايون، ص ٩٩).

(١٥) عبد الرزاق الحسن، المصدر نفسه، ص ٩٢.

(١٦) إسماعيل بك جول. اليزيدية، قديماً وحديثاً، ص ٨١. وانظر أيضاً:

درويش حسّو، الازدهايون اليزيديون، ص ١٠١.

(١٧) مجلة الضياء، العدد ١، (السنة ١٨٩٩)، ص ١١-١٧.

وتنقطع علاقة البنت بأبيها من حيث الالتزامات المادية عندما تتزوج. فلا ترثه. أمّا إذا رفضت الفتاة اليزيدية الزواج، أو أحبّت أن تبقى عانساً وجب عليها أن تخدم أباهما ما دام على قيد الحياة.

ولم نقف على حقيقة ما يُقال إنّه «إذا مات زوجها ترجع إلى أبيها الذي يزوّجها ثانية وثالثة ورابعة، إلى أن تزول عنها خاصّة الانتفاع، وتدخل في مصاف العجائز»^(١٨). ولا يحقّ لها أن ترث زوجها المتوفّي. وللأولياء - كما للأبوين - أن يزوّجا المرأة اليزيدية إذا وجدوا مصلحة في هذا الزواج. «ولإنسباء الأرملة حقّ في إجبارها على الزواج إلى المرّة السادسة. ولها أن تبتاع حرّيّتها بأن تدفع لذويها مقدار المهر الذي يدفعه من يطلبها»^(١٩).

ولا نعلم مدى حقيقة ما يقال إنّه «إذا أعرضت المرأة المترمّلة عن الزواج، واختارت البقاء ثيباً حرصاً على أولادها، فلوليها الحقّ أن يأخذ مهرها ثانية من أولادها. فإذا لم يتألف الزوجان فعلى ولي المرأة أن يعيد المهر الذي أخذه، ويسترجع المرأة التي زوّجها. فإذا عسر على ولي المرأة إعادة المهر فوراً، فيفترق الزوجان، وينتظر الزوج ريثما تلقى زوجته زوجاً آخر. وهناك يسترجع مهره»^(٢٠).

(١٨) صديق الدملوجي، اليزيدية، ص ٢٨١.

(١٩) مجلة المقتطف، العدد ١٣ (سنة ١٨٨٩) ص ٣٩٧. علماً أن درويش حسو

ينفي نفيّاً قاطعاً وجوب المهر أو عمليات «البيع» والإجبار على الزواج.

(٢٠) عبد الرزاق الحسني، اليزيدون، ص ٩٣.

أما الفتيات اللواتي يتزوجن وليس لهن من يتولاهن، فإن مهورهن تُعطى للأمير^(٢١).

وفي الثاني عشر من شهر أيار عام ١٩٢٩، وطبقاً لسلطته التشريعية، أصدر أمير الشيخان سعيد بك أمراً إلى شيوخ الملة اليزيدية مضمونه: إن البنت التي يُعقد نكاحها يجب أن لا يقل عمرها عن خمس عشرة سنة (بينما كان زواجها مسموحاً سابقاً عند بلوغها سن الثانية عشرة. وقد يُسمح وتزوج وهي في الثامنة، كما أنه شدد على وجوب حصول «التراضي» والقبول فيما بين الشاب والفتاة أولاً، ثم يُعقد نكاحهما^(٢٢)، متجاوزاً بذلك التقاليد التي توجب على الفتاة اليزيدية الخضوع لرغبة والدها في تزويجها ممن تشاء.

٥ - زواج الطبقات :

المجتمع اليزيدي ينقسم إلى ست طبقات : الأمراء، والشيوخ، والبيرات، والقوالين، والفقراء، والعامّة.

لا يجوز التزاوج بين هذه الطبقات إلا بعد الانتقال من طبقة إلى أخرى سيّما بين الطبقة الأدنى مع الأعلى منها، إلا ضمن

(٢١) د. خلف جراد، اليزيدية، ص ١٢٧.

(٢٢) راجع نص القرار عند الحسني، المصدر نفسه، ص ٩٢.

شروط خاصة. ولا يجوز لأبناء الشيوخ أن يتزوجوا غير بنات الشيوخ. ولا يجوز للشيخ، أو لأبنائه وبناته وممن هو من طبقته، الزواج والمصاهرة مع أبناء وبنات «البير» و«المريد». فكل طبقة إجتماعية دينية، أن تتزوج فيما بينها حصراً.

على أن الشريعة اليزيدية تتدخل أيضاً في أحكام وسنن الزواج في طبقة «الشايع» نفسها. فمثلاً أبناء «الشمسانية» لا يتزوجون من أبناء «الأدانية»، أو «القطانية». ويستثنى من ذلك «الأمراء» الذين يتزوجون ممن تعجبهم من النساء من أي طبقة كانت^(٢٣). ولكن «الأمير»، الذي يقوم على هذا العمل، يخطئ بفعله هذا خطيئة عرضية^(٢٤).

إذا طلق «الأمير» إحدى محارمه حُرِّم عليها الزواج من غيره، ووجب بقاؤها في دارها حتى تموت^(٢٥).

(٢٣) نقلاً عن مجلة «الضياء»، عدد ١ (١٨٩٩)، ص ٧١١. وفي مقال لعبد الرحمن بدران في مجلة «الجنان» ج ٧ سنة ١٨٦١، ص ٥٢٩ ما نصه: «ومن معتقداتهم أيضاً أن الرئيس المذكور إذا طلب إحدى النساء، بكرة كانت أم ثيباً، عزباء أو متزوجة، حلَّ له بالحال، وتحريم على غيره، ولو كان بعلمها من كبارهم». ولا نعتقد أن هذه القصة صحيحة وواقعية، خصوصاً أن اليزيديين ينكرون وجود مثل هذه العادة عندهم في الوقت الحاضر على الأقل.

(٢٤) القس إسحق، كتاب اليزيدية، ص ٢٧.

(٢٥) لدكتور خلف جراد، اليزيدية، ص ١٢٨.

٦ - عقوبة الزنا :

تختلف عقوبة الزنا عند اليزيدية باختلاف ديانة الزاني والزانية. فقد يُغفر للفاسقة فسقُها إذا فسقت مع اليزيدي. ويكون القتلُ جزاءَها إذا فسقتُ مع غير يزيدي؛ لأنَّ اليزيدي لا يكتسب الصفة اليزيدية إذا لم يولد من أب وأمَّ يزيديين^(٢٦). لهذا يرفضون زواج اليزيدية بالأجنبي - ويفضّلون عدم زواج اليزيدي من الأجنبية - لئلا يختلط الدم، ويضيع النسب.

ولهذا كثيراً ما يُكره اليزيدي على الزواج دون رغبته الشخصية. ولهذا تجد شاباً قد زوّج من امرأة أكبر منه سناً، أو كبيراً في السنّ تزوّج من فتاة صغيرة. وكلّ ذلك يعود إلى التشدد في مسألة الزواج ضمن «الطبقة» الاجتماعية - الدينية الواحدة.

وكذلك تحريم الزواج مع «الأجنب»، أي مع أبناء الديانات والمذاهب والطوائف الأخرى، وهو ما سبّب في تناقص عدد اليزيديين تدريجياً حتّى إنّ الباحثين في قضايا الأقوام والسلالات يرون أنّه قد لا تمرّ مدّة طويلة حتّى ينقرضوا، فلا يبقى لديانتهم إلاّ الذكر التاريخي^(٢٧).

(٢٦) هنا نجد تطابقاً تاماً وحرفياً بين ما ذكره عبد الرزاق الحسني في كتابه

«اليزيديون» ص ٩٤، وما قاله درويش حسّو في كتاب «الازدهايون

اليزيديون» ص ١٠١. وهو ما يؤكّد أنّ هذه المعطيات صحيحة وسليمة.

(٢٧) الدكتور خلف جراد، المصدر نفسه، ص ١٢٨.

ومن ناحية أخرى، فإنّ الزاني بيزيدية، إن كان غير يزيدي، يُقتل، إن أمكن قتله؛ وإن كان يزيدياً عُوقب بصراحة، دون الوصول إلى حدّ القتل. وإن كان الزنا مع ثيبٍ وجب إرضاء المتولّي عليها.

وقد حرّمت الديانة اليزيدية على أتباعها النظر إلى وجه امرأة غير يزيدية بريبٍ أو اشتهاؤ. ولهذا عاشت المسلمة بينهم بأمان، وكذلك المسيحية، فضلاً عن أنّها تعدّ «نجسة» في نظرهم، فلا يجوز لليزيدي أن يدنّس نفسه بالتقرّب إليها^(٢٨).

٧ - الهجر والطلاق :

لليزيدي أن يهجر زوجته مدّة أقصاها أربعون يوماً، فإن لم يتصالحا، طلبت الزوجة الطلاق من زوجها، فتطلق بعد أن تسقط حقّها في كلّ ما لها في بيت الزوجية من آثاث ومتاع. وتتزوّج غيره. ولا عدّة للطلاق عندهم. ويتمّ الطلاق بإعطاء المرأة المراء طلاقها ثلاث حصيات، رمزاً إلى التطليق بالثلاث، إذا كان المطلق شيخاً. أمّا إذا كان من العامة فيكفي منه الطلاق مرّة واحدة.

وبحسب الشريعة اليزيدية يجب أن يتمّ الطلاق بحضور الشيخ والكريف وأخ الآخرة. ولا يجوز للمرأة الزواج قبل مرور عام على طلاقها^(٢٩). وإن صحّ ما قاله الباحث اليزيدي درويش

(٢٨) عبد الرزاق الحسني، المصدر نفسه، ص ٩٤.

(٢٩) درويش حسو، المصدر نفسه، ص ١٠٢.

حسّو، وهو أقرب إلى دينه وأسرار شريعته، فإنّ ذلك يعني أنّ عدّة الطلاق عندهم سنة كاملة، الأمر الذي يناقض ما أورده السيّد عبد الرزاق الحسني من أنّه لا يوجد عدّة طلاق عندهم^(٣٠).

وفي كلّ الأحوال، ليس لليزيدي أن يسيء الظنّ بزوجته، بل عليه أن يحمل ما يلاقيه منها على محمل حسن^(٣١)، كما أنّ للزوجة أن تتزوّد من غير زوجها إذا تغيب بعلمها عنها أكثر من سنة^(٣٢).

ويقول أحد الباحثين إنّّه إذا ما غضب يزيدي على زوجته قال لها: أدعو عليك أن تلبسي ثياباً سوداء اللون، وتسيري في شوارع الموصل^(٣٣). أمّا هي فقد تجيبه: أدعو عليك أن تصعد المنارة وتؤذن في جامع المسلمين^(٣٤).

(٣٠) د. خلف جراد، المصدر نفسه، ص ١٢٨.

(٣١) القس إسحق، كتاب اليزيدية، ص ٢٧.

(٣٢) المصدر السابق ص ٢٧. الدمولوجي، المصدر نفسه، ص ٢٩٩.

(٣٣) الموصل مركز محافظة نينوى على نهر دجلة، قريبة من مستوطنات

اليزيدية التي تقع شمالها مثل: سنجار، بعشيق، بحزاني، الشيخان.

(٣٤) رواها سعيد الديوهجي في كتابه اليزيدية، ص ٤٥. ويعقّب الحسني على

هذه الحكاية، بقوله: إنّ يستنتج منها أنّ الزوج يدعو على زوجته بالترمل

حيث تلبس الحداد عليه، وهي تدعو عليه أن يصعد المآذن الإسلامية ليسبّ

معبوده... (الحسني، اليزيديون، هامش ص ٩٥).

ويجوز للزوج أن يسترجع مطلقته بلا عدة ولا فتاوى من رجال الدين لثلاث مرات إذا كان من العامة. أما إذا كان من الخاصة فإنه يستنكف أن يسترجع زوجته، لا سيما إذا كانت نكحت غيره^(٣٥)

ثالثاً - مراسيم الطفولة

١ - الولادة :

في حالة عدم إنجاب المرأة للأطفال، تذهب عادة إلى أحد الشيوخ وتقدم له النذور من أجل أن تُرزق بطفل أو طفلة. فمثلاً قد تذهب إلى مقام خضر الياس^(٣٦)، أو مرقد الشيخ عدي، حيث يوجد مكان يسمى «بيرلين»^(٣٧)، تقف فيه المرأة اليزيدية، وترفع المنديل، أو ما يسمى «الربطة» عن رأسها، وترميها ثلاث مرّات باتجاه السقف، أو أحد الجدران. فإذا تعلّقت ولثلاث مرّات، فيعني أن الله

(٣٥) د. خلف جراد، المصدر نفسه، ص ١٢٩.

(٣٦) المقصود به دير مار بهنام الشهيد جنوب شرقي الموصل على مسافة ٣٥ كم حيث أنه معروف لديهم ولدى المسلمين باسم «خضر الياس».

(٣٧) بيرلين هي منطقة مقدّسة عند اليزيدية في أبنية مرقد الشيخ عدي، يذهب الشخص إلى هذا المقام ويرمي قطعة قماش ما، فإذا تعلّقت بالجدار أو السقف لثلاث مرّات فإنّ المراد سيتحقق.

قد استجاب إلى ما في نفسها، أي تحقيق هدفها. وبعضهم، عندما يُرزقون بالطفل، يسمونه باسم أحد الشيوخ، مثل: خضر، إلياس، داود، حسن، وغيرها من الأسماء الخاصة بالأنبياء والأولياء.

بعد الولادة، لا يُخرج بالطفل من البيت إلا بعد أربعين يوماً من عمره. وقد يؤخذ إلى بيت الشيخ، بعد سبعة أيام، وتقوم زوجة الشيخ بربط خيط أزرق، مع شعرتين أو ثلاث من شعر رأسها. ثم تمسك الخيط الملفوف بالشعرة وتدلّكه بـ «البيرات»^(٣٨)، وتكون ملفوفة بقطعة قماش صغيرة تمسكها بيدها الأخرى. ثم تأخذ زوجة الشيخ هذه المواد بين يديها وتفرك يديها مرتين أو ثلاثة، وتضعها في يد الطفل.

وهذه العادة معروفة عند اليزيدية في بعشيقة وبجزاني. وقد يذهب بعضهم إلى بيت الشيخ المرخص، أو بيت (الشيخ سجادين)^(٣٩).

وعندما يكون الطفل في أيامه الأولى، أي لم يكمل أيامه السبعة، وصادف أن أنجبت امرأة أخرى طفلاً أو طفلة، في هذه

(٣٨) البيرات: عبارة عن كرات صغيرة تُجبل من تراب مرقد الشيخ عدي. يجبل هذه الكرات مسؤول عن صنعها بخلط التراب بماء زمزم.

(٣٩) شيخ سجادين، بيت أحد الشيوخ الموجودين عند اليزيدية وهذا الشيخ له قبر في بعشيقة وهو نفس بيت الشيخ. فإن امرأة الشيخ تجلب التراب الذي أمام قبر الشيخ ليعطى للمرضى الذين يطلبون الشفاء.

الحالة، تقوم المرأة الأولى باعطاء إبرة خياطة للمرأة الثانية، كما تقوم المرأة الثانية بالعمل نفسه.

وهناك اعتقاد شعبي عند بعض اليزيدية وهو في حال قيام المرأة التي أنجبت برفع صوتها عالياً، فإن المرأة الثانية يقلّ حليبها إذا سمعت ذلك الصوت.

وعندما يبلغ الطفل سنة أو سنتين وحتى ثلاثة، يأخذه شيخ العائلة، الذي يجمع الرسم من رب الأسرة وأعضائها. وهنا يقدم الطفل إلى الشيخ، فإذا كان ذكرًا فيقرأ الشيخ فوق رأسه دعاءً يسمى (مسك البسك). وهذا التذكّار تقوم به العائلة، وللاحتفال بهذه المناسبة تصنع بعض الأطعمة الخاصة، وتوزّع على الجيران.

ولا يجوز إرضاع الطفل اليزيدي من امرأة غير يزيديّة، وإلاّ يعتبر الطفل غير يزيدي.

٢ - التعميد :

العماد عند اليزيدية من الواجبات المهمّة التي تقوم بها العائلة. وليس هناك عمر محدّد لتعميد الطفل. فقد يكون السنة، أو السنتين، أو الثلاث. ذلك يتوقّف على الفترة التي تذهب بها العائلة إلى مرقد الشيخ عدي^(٤٠).

(٤٠) عباس العزاوي، تاريخ اليزيدية، ص ٢٨. في سنجار قد يصل عمر

يغمس الطفل في ماء زمزم حيث المغارة المظلمة، والمكان الخاص المسمّى بـ «عين البيضاء»^(٤١)، حيث يكون «البير» المعين والمسؤول عن هذا المكان. -وفي حالة غياب البير، تقوم زوجته بهذه المهمة-. يرشّ البير الماء فوق رأس الطفل، ويلبسه الثياب البيضاء، رمز الصفاء والنقاء والكبرياء. وتدعو الأمُّ العَمَّات والخالات والأعمام والأخوال، فيجتمعون ومعهم الحلويات. ثم يعطون للبير «الفتوح»، أي النقود^(٤٢).

٢ - الختان :

هو أحد الشروط المهمة في اليزيدية. ويجري بمراسيم خاصة يقوم بها الوالدان. لا عمر معين للختان إنما يجب أن يكون قبل سن الزواج.

بهذه المناسبة تعيّن العائلة كريفاً لها ليمسك الطفل أثناء عملية الختان حيث يضعه في حضنه ويقوم المطهر بالعملية الرسمية والدينية.

الشخص العشرين سنة، أو الثلاثين، لسبب مستواهم الاقتصادي الذي يساعدهم للسفر إلى مرقد الشيخ عدي.
(٤١) العين البيضاء، أو (كاني باسي)، نبع ماء ينبع من داخل غرفة مقببة قريبة من مرقد الشيخ عدي، وهي من ملحقاته.
(٤٢) الفتوح، وتعني «النقود» التي تدفع للبير، وقد توضع فوق باب الغرفة التي يتم فيها العماد بمرقد الشيخ عدي.

من العادات المتبعة في هذه المناسبة، أن يؤخذ الطفل منذ الصباح الباكر، يحمله عمّه، أو خاله، أو أحد الأقرباء، إلى رأس العين أو بستان معين، أو إلى دار شخص من أصدقاء أهل الطفل، ويصحبه الشباب والشابات والأطفال، وفي أيديهم أغصان الأشجار سيّما الزيتون. وعندما يصلون إلى المكان المعيّن يحمل الطفل أحد الأشخاص كيما تتمّ عمليّة الختان، ثمّ يعودون وهم يرقصون ويغنون، إلى أن يدخل الدار فتتمّ الأفراح وتوزّع الهدايا والحلويات.

٤ - حفلة البسك :

إذا كان المولود صبيّاً ذكراً، وجب على والده أن يدعو إلى حفلة «البسك» عند بلوغ الطفل سبعة أشهر، أو أحد عشر شهراً، أو السنة السابعة من عمره. على أنّه لا يجوز قصّ شعره الطفل قبل إقامة حفلة «البسك» له.

من ترتيبات الحفلة التضحية بخروف أو كبش، ثمّ يقوم شيخ العائلة بقصّ خصلة من ناحية شعر الطفل بمقصّ لم يُستعمل، أو أن يكون نظيف المظهر. وعند عمليّة قصّ الشعر يردّد الشيخ دعاء «البسك»

والوقت الأنسب لطقوس «البسك» عند غروب الشمس. وبعد إتمام الرتبة يجري الاحتفال بهذه المناسبة. و«البسك» يجري

للصبيان فقط. ولا يجوز قصّ شعر الفتاة أبداً. وعموماً فإن قصّ الشعر يعدّ حراماً في المعتقدات اليزيدية.

رابعاً - طقوس الموت

لليزيديين طقوسهم وشعائهم الخاصة في أثناء الموت وترتيبات الجناز والدفن. وهي متأثرة إلى حدّ كبير بعقيدتهم التي يؤمنون بها، ألا وهي التقمّص وتناسخ الارواح.

فإن كان الميت عزيزاً أو شاباً، نحتوا خشبة على هيئة إنسان، يسمّونها «الشكل». ويلبسونها الثياب التي كان الميت يلبسها^(٤٣). يأتي الطبال والزمار فيعزفون نغمات الحزن، والناس حول الميت ييكون ويندبون، ثمّ يطوفون حول «الشكل»، ويركعون له ويتبرّكون به.

ويتقدّم الغرباء متجاهلين الحدث فيسألون أهله: «ما عندكم؟ فيجيب أهل الميت: «نحن نزوّج ولدنا. وهذه حفلة عرسه».

ويقيمون الحداد ثلاثة أيّام، ويوزعون الخيرات على روحه.

(٤٣) ذكر هذا الأب أنستاس الكرملّي في مجلته «لغة العرب» وعباس العزاوي في كتابه «تاريخ اليزيدية»، وصديق الدملوجي في كتابه «اليزيدية».

ويجدّدون ذلك في اليوم السابع، واليوم الأربعين، وفي مثل يوم وفاته من كلّ سنة. ويطعمون الفقراء طبقاً من الطعام مع رغيف خبز مدّة ستة أيّام^(٤٤).

حينما يحتضر اليزيديّ يحضر إليه شيخه (من طبقة الكواجك) و «أخ الأبدية» أو «أخته»، ليكونا إلى جانبه. فيذيب الشيخ شيئاً من تراب الشيخ عدي المجلول بماء عين «زمزم» (البراته) في قليل من الماء، ويشرع في صبّ قطرات من هذا الماء في فم المحتضر، ورش قطرات أخرى على وجهه. فإن لم يجدوا شيخه أو أخاه الأبدي، قام أحد أفراد عائلته بهذا الطقس الديني. فإذا مات المحتضر سكب الشيخ، أو نائبه، الماء على جسده وغسله غسلًا دينياً. ويضع بعد التّغسيل بعض «البراته» في كفّيه، وفي عينيه، ثمّ يذرّ بعضاً آخر على قدميه^(٤٥). ثمّ أيضاً يضع قليلاً منها على أنحاء مختلفة من جسده. ثمّ يربط رأسه بمنديل أبيض. ثمّ يحشو منافذ جسمه بالقطن، ويلبسه أقصر ثيابه البيضاء. ثمّ يكفّنه بنسيج أبيض، ويخيط الكفن عليه، ويشده عند قمّة رأسه ومن وسطه ومن قدميه.

وبعد ذلك يوضع في التابوت المغسول بماء زمزم. ثمّ يحمل النعش إلى القبر بينما يعلو صوت البكاء والعيول. يتقدّم الموكب

(٤٤) إذا كان الميت يزدياً أسود فلا تقام له مراسم الحداد.

(٤٥) د. محمد التونجي، اليزيديون، ص ١٨٤ - ١٨٥.

قَوَّالان يعزفان اللَّحْن الحزين. أحدهم يضرب على الدفّ، والآخر بالشبابة، والمشيِّعون خلفهما، والنسوة يولولْنَ ويصحنَ (هاو. هاو. هاو). يصحبه عيارات نارية في الفضاء لهول الفاجعة^(٤٦).

بعد وصولهم إلى المقبرة، يستقبل النعشَ خادمُ المقبرة الذي يكون قد هيأَ القبر، فيُنزل الجثةَ إلى مستقرّها مع القوَّالين وأهل الميت. ويقوم خادم المقبرة بترتيب الجثمان ويخرج. فينزل الشيخ المسؤول عن الميت، ويفك ربطة الرأس، وعندئذ يشرع «الفقير» أو «الشيخ» بتلاوة «الطريقة» (التلقين)، ثمَّ «السره مركه». وبعد تلاوة «الطريقة» التي جاء فيها: «إنَّ الإنسان لا بدَّ أن يموت عاجلاً أو آجلاً... ولكن طوبى لمن أرضى الله والناس، ودخل القبر بوجه أبيض»^(٤٧). ويوجّه الميتُ نحو جهة المشرق، ويوارى التراب. علماً أنَّه يجب أن تتمَّ عملية الدفن نهاراً قبل غروب الشمس.

وكلُّ مَنْ شيعَ الميت حتّى على تابوته التراب عند دفنه قائلاً: «يا إنسان كنتَ تراباً ورجعتَ اليوم إلى تراب»^(٤٨). ويلقّنه الشيخ بقوله: «يا عبد ملك طاووس ستموت على دين معبودنا وهو ملك

(٤٦) وقد يحرقون البخور عند محلّ النعش توديعاً له وتعطيراً لروحه: ر. د. خلف جراد، المصدر نفسه، ص ١٣١.

(٤٧) عبد الرزاق الحسني، المصدر نفسه، ص ١٠٦ - ١٠٧.

(٤٨) تتطابق مع ما يقوله الكاهن عند المسيحيين حينما يأخذ حفنة من التراب ويذريها على القبر قائلاً: «من التراب وإلى التراب».

طاووس، ولا تموت على غيره. وإن جاءك أحد وقال لك مُت على دين الإسلام أو اليهود، أو غيرهما من الأديان، فلا تصدّقه، وإن صدّقته وآمنت بغير معبودنا كنتَ كافرًا»^(٤٩).

ثمَّ يوجّه الشيخ حديثه إلى الناس فيقول: «إنّنا حين نرجع إلى بيتنا قائلين: لنقم ونذهب إلى بيوتنا، يقول الميت أيضًا: لأقم ولأذهب إلى البيت مع الجماعة. وحين يريد القيام يُصدم رأسه بالججر^(٥٠). ويقول: آخ ها إنّي من عداد الأموات». ويرجع الجميع إلى بيوتهم^(٥١).

وفي صباح اليوم الثاني، يقصد الأهل والأقارب «وأخ الآخرة» و «الفقير» إلى القبر، ويتلو الأخير «السره مركه» ثانية. وعندئذ، شعائر الموت والدفن. وطوال الأيام الثلاثة من الوفاة يتوافد الناس لتقديم العزاء لذوي الميت. ويُعطى «الكواجك» الذين يحضرون الدفن نقودًا للترحم على روحه، وحسن الختام^(٥٢).

(٤٩) د. محمد التونجي، المصدر نفسه، ص ١٤٩.

(٥٠) يسمون هذا الحجر «بري حدي».

(٥١) يقول الأسدي: «إنّهم يدفنون مع الميت رغيفًا وفلسًا وعصا. وحين يلقن الميت يقول له بالعامية: «إذا جاك الملك كضيف طعميه هالرغيف، وإذا جاك كمستدين دينو هلفلس. وإذا جاك كدشمان (عدو) إنزل عليه بالعصا» (موسوعة حلب، ٥: ٣٩٧).

(٥٢) بعد سنّة الدفن تذبّح الذبائح وتوزّع على الفقراء. وافقر اليزيدية لا يذبّح

وفي يوم العزاء الثاني يمدّ سباط الطعام فوق القبر لأنهم يعتقدون أنّ الميت بحاجة إلى طعام. وبعد الأيام الثلاثة الأولى، يتابع ذوو الميت زهابهم لزيارة القبر من غير عويل ولا عزف. إلا أنّ بعض القوالمين يتبعونهم وينشدون لهم بعض الأناشيد الدينية ينالون عليها بعض الدراهم.

وفي اليوم الأربعين يذهب الرجال والنساء للمرّة الأخيرة إلى قبر الميت وبذلك تتم مراسم الدفن^(٥٣).

أقلّ من أربع أو خمس ذبائح، وقد يذبح الأغنياء مئة نعجة.
(٥٣) وهم يؤمنون بـ «المطهر»، ويسمّونه «آخرة دوزه»، أي نار، أو نور الآخرة (ر: د. محمد التونجي، المصدر نفسه، ص ١٥٠).



مرقد الشيخ عدي بن مسافر في لالش

الفصل السادس

الأصوام والأعياد والسناجق

أولاً - الأصوام

١ - صوم يزيد :

يصادف هذا الصوم أيام الثلاثاء والأربعاء والخميس من الأسبوع الأول من شهر كانون الأول الشرقي من كل سنة، أي في أقصر أيام السنة. وهو مفروض على كل يزيدي تجاوز الثلاثة عشر عاماً. فينقطع اليزيدي واليزيدية طيلة هذه الأيام الثلاثة المتتالية عن الأكل والشرب والتدخين من الصباح إلى المساء.

ويكون يوم الجمعة، الذي يعقب أيام الصوم الثلاثة، عيداً، يطلق عليه «عيد الأزدي»، ويصنعون فيه خبز العيد ويسمونه «صاوك».

في يوم الاثنين، اليوم السابع للصوم، تذبج العوائل اليزيدية ذبيحة مناسبة بحسب المستوى المعاشي. فهناك عوائل تذبج خروفاً، أو عجلاً، أو دجاجة. والنساء يقمن بتنظيف البيوت،

ويغسلن الملابس، ويستحمّون لاستقبال الصوم بروح طاهرة صافية. ويُعتبر هذا اليوم يوم عمل ومثابرة. وفي الساعة الثالثة، أو الرابعة، من بعد منتصف الليل، يقوم اليزيديون للسحور. ويدعونه «باشيف». وعند الساعة الخامسة ينقطعون عن الطعام والشراب. ومن يخالف يُعتبر غير صائم.^(١)

٢ - صوم مربعانية الشتاء :

يقع هذا الصوم في العشرين من شهر كانون الثاني الشرقي من كلّ سنة (٣ شباط الغربي)، أي بعد حلول «عيد العجوة» بخمسة عشر يوماً.

٣ - صوم مربعانية الصيف :

صوم خاص برجال الدين^(٢). مدّته أربعون يوماً. تبدأ في العشرين من تموز الشرقي (آب غربي).

(١) هناك صيامان آخران، لكنهما غير إلزاميين، وهما: «صيام الشيشمس» أي الاسبوع السابق لصيام يزيد، وصيامه ثلاثة ايام أيضاً، وهي أيضاً الثلاثاء والاربعاء والخميس، ويكون يوم الجمعة بعدها يوم «عيد الشيشمس». أمّا الصيام الآخر فهو في الاسبوع الذي يلي صيام يزيد. ويسمى «صيام الخدان»، الذي يكون كالعادة في أيام الثلاثاء والاربعاء والخميس، وتتوّج بـ «عيد الخدان، يوم الجمعة. (راجع درويش حسو، الازدهايون اليزيديون، ص ٨٦-٨٧).

(٢) رجال الدين الروحانيون هم: الكواجك، الشيوخ، الفقراء، القوّالون، الفقرايات (بمثابة الراهبات) لا يتزوّجن.

يقصد رجال الدين اليزيديون هؤلاء مرقد الشيخ عدي،
ويصومون اليوم الأول والثاني والثالث، ثم يرجع كل إلى منطقته
ليكمل صيام الأربعين يوماً^(٣). وقبل انتهاء الصوم بثلاثة أيام أو
يومين، يقصد الصائمون إلى مقام الشيخ عدي، ويذبحون ذبائح
تسمى عيد القربان^(٤). فيه يخرج جاويش «مدبر المرقد» وعلى رأسه
طبق فيه خبز رقيق، ويصعد جبل الشيخ عدي، ويسمى «جبل
عرفات»، ويقف على حجر عالٍ، ويرمي طبق الخبز فوق الواقفين
هناك، والذي يستطيع أن يحصل ولو على قطعة صغيرة من الخبز،
يأخذها إلى حوش العين البيضاء (كاني سبي)، ويضعها فيه، ثم
يأكلها، فيصبح حجّه مقبولاً^(٥).

(٣) هذا الصوم له صفته الخاصة بالشيخ، فإنه لا يرفض أي طعام يقدم له
بعد الايام الثلاثة من الصوم قائلًا: إن شخصاً من القرية عمل لي عيداً،
وقدم لي طعاماً وليس لي أن أرفضه.

(٤) جورج حبيب، المصدر نفسه، ص ١٢٣. ولهذا العيد أسماء عديدة كعيد
الشيخ عدي، والعيد الكبير ومدته خمسة أيام تبدأ من تموز شرقي
وتنتهي بالحادي عشر منه (٣١ تموز-٣ آب).

(٥) سعيد الديوه جي، المصدر نفسه، ص ١٢١.

ثانياً - الأعياد

١ - عيد الجماعة :

مدّته سبعة أيّام، تبتدئ من اليوم الثالث والعشرين من أيلول الشرقي (٦ تشرين الأوّل الغربي)، وتنتهي في الثلاثين منه (١٣ تشرين الأوّل الغربي). وهذه الأيام تعدّ مقدّسة، يجتمع اليزيديون من جميع المناطق في مقام الشيخ عدي، بعد أن يقطعوا السراط^(٦) بين زغاريد النساء وتصفيق الشباب. ويقولون إنّّه في هذا العيد تُغفر الذنوب والخطايا، وتُستنزل شأبيب الرحمة والبركة، ويُستدلّ به على كنه السنة المقبلة إن خيراً وإن شراً.

في هذا العيد، يعدّ السادن أكلة واحدة تسمّى «سِمَاط» لمريديه من غلّة أوقاف صاحب ذلك المزار، وما يجمعه من النذور والصدقات والهبات. ومحظور على الحجاج إصطياد الطيور، أو قتل الوحوش، أو قطع الأشجار، أو إيذاء بعضهم بعضاً، لأنّ وادي لالش منطقة مقدّسة، وأرض حرام مكرّمة.

أمّا «الكواجك» فيصعدون مرّتين في كلّ يوم من أيام هذا العيد السبعة إلى جبل «عرفات» ليجمعوا الحطب لمضيف (مطابح)

(٦) السراط، أيّ الجسر الصغير، أو القنطرة على الماء الذي يجري في الوادي حيث اليزيدية يخلعون أحذيتهم ويغتسلون بمائه، ويتوجّهون إلى المرقد الذي فيه المرشد الصالح الشيخ عدي.

الشيخ عدي، وينزلوه محمولاً على ظهورهم.

وهناك أعمال وطقوس تتم في هذا العيد هي :

أ - القاباغ :

يراد بها إطلاق الرصاص بالجملة، في اليوم الخامس من العيد، إذ يتسلق المحتفلون الجبال المحيطة بمرقد الشيخ عدي، إحتفالاً بالعيد، ويتكفل أمير الشيخان بثمن الرصاص. ثم ينحدرون إلى فناء المرقد، فيرقصون رقصهم القبلي المعروف بالدبكة الشبخانية، مختلطين رجالاً ونساء على شكل حلقات مستديرة. و«القوالون» يضربون بدفوفهم ويزمرون بشباباتهم فرحاً وحبوراً.

ويهيئ أمير الشيخان ثوراً كبيراً أبيض اللون - وتجري هنا شبه مسرحية شعبية ريثما يُنحر الثور في مرقد الشيخ شمس، ويشرف على ذبحه وطبخه وتوزيع لحمه جماعة من شيوخ مرقد الشيخ شمس - أما رأس الثور فتجري عليه المزايدة العلنية. فمن رسا عليه فاز بالبركة الكبرى والسعادة القصوى.

ب - نصب تخت الشيخ عدي :

هذا التخت عبارة عن حلقات قديمة مفرغة من معدن البرونز الأصفر، يبلغ عددها ستين حلقة، مع عودين طويلين مقدّسين،

وسجادة رثة بالية، يعتقد اليزيديون أنها كانت تشكّل «سريراً» يجلس عليه الشيخ عدي، ويسمّونه «برشباكي»؛ وهو ما يزال في حوزة رجلٍ من قرية بحزاني اسمه «الشيخ بريم»، يصنعه الرؤساء في كلّ «عيد الجماعة»، ويحملونه إلى مرقد الشيخ عدي.

فإذا حلّ اليوم الأخير من «عيد الجماعة»، يعلن أمير الشيخان نصب تخت (سريّر) الشيخ عدي بالمزايدة العلنية، فيتسابق رؤساء القبائل على شرف هذا النصب^(٧)، لكسب الافتخار، حتّى إذا تمت هذه المزايدة ينهض القوّالون إلى ضرب الدفوف، والعزف بالشبابات، والدوران حول السريّر المذكور.

تشرع القبيلة التي دفعت المال الأكثر في نصب السريّر وتركيب حلقاته وربط بعضها ببعض، بأبعادٍ متساوية، وبحبالٍ قديمة مغسولة بماء زمزم، ثمّ يربطون اللّوحين الخشبيين المقدّسة على الجانبين، ويوضع فوق الحلقات السجّادة القديمة الخاصة بالشيخ عدي حسب اعتقادهم^(٨).

بعد أن يفرغوا من نصب السريّر، يحضر شيوخ القبائل لحمله إلى حوض «الكلوكي» في ساحة الشيخ عدي، وتعميده فيه،

(٧) تغسل الحلقات بماء السّمّاق كلّ سنة، لتستعيد لونها الذهبي الأصفر.

(٨) إسماعيل بك جول المصدر نفسه، ص ٨٤.

فيتهافت الناس على لمسه وتقبيله، لأنهم يرون في هذا التقبيل واجباً دينياً لا يمنعهم من أدائه الإزدحام الشديد، أو حتى الضرب المبرح، الذي يلجأ إليه المكلفون بحفظ النظام. وقد يُغالي البعض فيتسلق الأشجار، ويرمي نفسه على «التخت» المقدس فيموت، معتقداً أنه «يستشهد» في سبيل أداء هذا الفرض الديني الكبير.

ج - سماط جلميرة :

يقول يزيدو عين سفني إنه كان للشيخ عدي أربعون تلميذاً مخلصون في خدمته، ويفدونه بأرواحهم. وكان رئيسهم من أهالي عين سفني، ويدعى «فخرة جلميرة». ولهذا بنوا له مقاماً. وحين يتم «عيد الجماعة» يذبحون بقرة على محبتهم لفخرة جلميرة، ويمدون سماطاً، أسموه سماط جلميرة، ويتوافد السكان على السماط، وبصعوبة شديدة يحظى الواحد منهم بقطعة من لحمها، لأن أمير اليزيدية والشيخ والوزير وباباشيخ، يأخذ الواحد منهم بقطعة من لحمها، وبعد أن يفتتها يرمي الفتات على رؤوس الأشهاد، فيتسارعون إلى التقاط ما يستطيعون، ويتقاسمونه فيما بينهم، بحيث يصل إلى كل فرد قطعة، مهما كانت صغيرة.

وقد يغمس بعضهم يده في المرقد الساخن فلعله يحصل على شيء من قعر القدر، ويعتقدون أن القطعة التي يحصل عليها هي بحجم الإيمان الذي يغمر قلبه.

وعندما ينتهون من هذه المراسيم، يعصب وكيل الأمير على رؤوسهم منديلاً أبيض، ويدفعون مالا بثمنه، أي يشترونها. وبعد ذلك يعودون إلى منازلهم زرافات ووحداً، ويبقى سكان قرية بحزاني لينظفوا المكان من الأوساخ^(٩).

د - الإغتسال في زمزم :

في سفح الجبل الذي يرقد فيه الشيخ عدي، نبع ماء رقاق، صاف، عمقها متر تقريباً، وقطرها متران، يصل المرء إليها من نفق لا يتسع لغير شخصين، ولا تنيره غير كوتين يقال له: «بئر زمزم». ويروي اليزيديون أن الشيخ عدي قدم إلى هذا المكان ولم ير فيه ماء، طلب منه مريدوه أن يجترح لهم آية، فأخذ الشيخ عصاه وضرب بها الصخرة وقال للماء: «زُم زُم»، أو قال: «أريد ماء زمزماً»، أي: كثيراً؛ فانبجست المياه أمامه^(١٠) ويروي أيضاً، أن الشيخ عدي، بعد أن تفجّر الماء بين يديه، أضاف عليها من ماء القدس، أو من نهر الأردن.

يغتسل اليزيديون في هذه الماء لدى استعدادهم لعيد الجماعة ليتم حجهم. وإذا ما رافق يزدياً صديق له غير يزدي،

(٩) الحسن، المصدر نفسه، ص ١٢٠.

(١٠) د. محمد التونجي، المصدر نفسه، ص ١٨٨.

بهذا الموسم، فإنّ اليزيدية وأهل قريته يُحرمون من أداء الحجّ، ولا يستطيعون الاغتسال بماء زمزم، ويُطرد الغريبُ بكلّ وسيلة.

٢ - عيد بلنده :

يقع هذا العيد في اليوم الخامس والعشرين من شهر كانون الأوّل الشرقي، أي بعد «عيد يزيد» بخمسة وعشرين يوماً حيث يستقبلون فيه تساقط الثلوج، ويسمّونه «عيد بلنده»، أي: عيد الميلاد. مدّته أحد عشر يوماً، وأصله أنّ الشيخ عدي ولد في مثل هذا اليوم. ويوقدون ناراً في منازلهم يقفزون من فوقها^(١١). ثمّ يشوون فيها ثمرًا وكشمشًا ويأكلونهما^(١٢).

٣ - عيد العجوة :

يقع هذا العيد في اليوم السابع من شهر كانون الثاني الشرقي (٢٠ كانون الثاني الغربي)، أي بعد مرور ١٢ يوماً على عيد الميلاد. وفيه يعملون رغيفًا كبيراً من الخبز يضعون فيه نواة بلح (عجوة)، أو زببية، ويجعلونه على ظهر أحد أولادهم. وبعد يوم أو يومين يستدعون أحد الأشخاص من خارج البيت، ويكلّفونه بتوزيع هذا الرغيف على أفراد العائلة كافّة. فكلٌّ من أصابته القطعة

(١١) د. محمد التونجي، المصدر نفسه، ص ١٩٠ حاشية ١.

(١٢) د. خلف جراد، المصدر نفسه، ص ١٧٨، ود. التونجي، ص ١٩٠.

التي فيها العجوة أو الزبيبة، كان صاحب الحظّ السعيد في ذلك العام، ونال جائزة أميرهم المعدّة لهذا الغرض^(١٣).

كما أنّهم يصنعون «كليجة» أخرى مدوّرة باسم «مريم العذراء»، ويضعونها داخل المؤونة والطحين من أجل البركة^(١٤).

٤ - عيد خضر الياس :

يقع هذا العيد في أوّل يوم خميس من شهر شباط شرقي، وقد يصوم بعض اليزيديّة الأيام الثلاثة التي تتقدّمه، وذلك احتراماً للنبي خضر الياس، المقدس عند اليزيديّين^(١٥). وقد يصومون يوماً واحداً فقط، إلّا أنّه يتوجب الصيام ثلاثة أيّام على كلّ من كان اسمه «الياس»، أو «خضر». ومن عادة يزديّة سنجار أنّهم يقلّون الحبوب بهذا العيد، ويصنعون منها «سويقاً» يوزّعونه على الأهل والجيران والمعارف^(١٦).

و«الخضر الياس»، عند يزديّة العراق، سيّما في سنجار وبحزاني وبعشيقه... هو «مار بهنام الشهيد»^(١٧). وديره جنوب

(١٣) د. خلف جراد، المصدر نفسه، ص ١٧٩.

(١٤) د. محمد التونجي، المصدر نفسه، ص ١٩٠-١٩١. ولكن لم يقدني أحد

لماذا يسمّونه باسم «مريم العذراء»؛ إنّما الأكيد للتبرّك، كما عند المسلمين.

(١٥) درويش حسّو، المصدر نفسه، ص ١٦٦.

(١٦) عبد الرزاق الحسني، المصدر نفسه، ص ١٢٢.

(١٧) بهنام الشهيد: أمير من بلاد ثور، ستشهد على يد أبيه سنحاريب مع

شرقي الموصل بمسافة ٣٥ كم. وقد استولى اليزيديّة عليه فترةً من الزمن، وأدّعوا أنّ الدير يعود إليهم^(١٨). وما زالوا يقدمون له النذور، ويزورونه بين فترة وأخرى للتبرّك، وخاصّة لطلب الإنجاب للأمّهات العواقر. وعليه نجد عددًا كبيرًا من أبناء اليزيديّة والمنطقة إسمهم : الياس، وخضر، وخدر...

٥ - عيد السري صال (رأس السنة) :

تبدأ السنة عند اليزيديّين في أوّل يوم من شهر نيسان الشرقي، الموافق ١٤ نيسان غربي. في الليلة الأولى، يرتدي الشباب والفتيات أفخر الثياب والزينة، وينطلقون إلى الحقول ليقطفوا ورد «النوار» الأحمر (شقائق النعمان)، ويركّزونه بالطين على أبواب بيوتهم وعلى الجدران الخارجيّة، في ثلاثة أمكنة متساوية الأبعاد عن بعضها. وقد يغالون فيضعونه على مدخل كلّ حجرة من الدار، وبعضهم يركّزونه بقشور البيض الملوّنة، زاعمين أنّ ذلك يسهّل على الملائكة تمييز بيوت اليزيديّين عن بيوت أهل الأديان الأخرى .

أخته ساره والأربعين رفيق من أصدقائه عام ٣٨٦م، على عهد سابور الملك الفارسي، بسبب اعتناقه المسيحيّة.

(١٨) في العام ١٧٨٧م، انتهز اليزيديّون فرصة خلوّ دير مار بهنام من الرهبان، فاحتلّوه ما يقارب السنتين إلى حين قدوم الراهب هندي عائداً من دير الزعفران، فاستحصل أمراً من القاضي بجلّاثهم.

وتكثر في هذا العيد المقامرة بالبيض الملون، وبالدرهم أيضاً، ويُشركون غيرهم بهذه المقامرة. ولا بدّ لكل بيت منهم أن يشتري لحماً، أو يذبح ثوراً، أو خروفاً، أو دجاجةً، وأن يطبخ أفخر الأطعمة.

في اليوم الثاني يقسمون هذه الأطعمة على الفقراء والمساكين والمارة وعابري السبيل. وتذهب النسوة بالطعام إلى المقابر ليوزعنه عن أنفس الموتى. وتناول اللحم واجب على كل يزيدي ويزيدية أيام هذا العيد الكبير.

ويعدّ اليزيديون شهر نيسان الشرقي بأكمله عيداً مقدساً، فلا يتزوجون في النصف الأول منه، ولا يحفرون أرضاً، ولا يُقيمون بناءً، ولا يُشيدون منزلاً جديداً، ولا يكتبون عقداً ببيع أو شراء. وينظمون طوافات (استعراضات) شعبية رائعة على شكل «كرنافالات» في كل يوم جمعة واقعة في هذا الشهر. وذلك في المزارات القريبة والبعيدة، فيرقصون رقصاً جماعياً بهيجاً، يشترك فيه الرجال والنساء على شكل «دبكات»، أو على هيئة «أهلة».

ويحتسون الشراب، ويولون الولائم، ويقدمون الهبات، ويصفون حساباتهم بشكلٍ ودّي، ويدفعون العشور المستحقة عليهم لصندوق الإمارة، ويذهب القوالون إلى المقابر، وينشدون بين القبور ترانيلهم استجلاباً للرحمة والمغفرة للموتى، فينالون مقابل ذلك أجراً من أهلهم وذويهم.

ويعتقد اليزيديون أنه في منتصف ليلة رأس السنة تأتي ملائكة السماء، فتجلس مع العباد، وتسجد مع الساجدين من علماء وروحانيين، وتبارك منازل اليزيدية، وأن الكون كله يسجد للخالق الأعظم في هذه الليلة (ليلة نزول الملك طاووس).

وأهم الاحتفالات في عيد سري صال تجري في قرىتي بعشيقية وبحزاني حيث يقوم الباباشيخ بالمراسيم الدينية، ويصحبه فيها المير وعائلته، وتتضمن العبادة زيارة مزار الشيخ محمد. وينتهي الاحتفال عادة بسباق الخيل، وقد يحضره زوار من الموصل. أما في سنجار فتعقد الاحتفالات عند مزار شريف الدين على قمة جبل «جلميران» بألعاب نارية إلى بدء العام الجديد.

ثالثاً - السناجق

السنجق، كلمة تركية تعني «الراية»، أو «البيرق»، أو «العلم». يطلقها اليزيديون على تمثال «طاووس ملك» الذي يرمز إلى معبودهم، أو إلى «رئيس الملائكة» (عزازيل). وفي اعتقادهم أن الملائكة السبعة اشتركوا في خلق العالم؛ وجعل لكل منهم سنجق خاص به. أودعت هذه السناجق لدى سليمان الحكيم، فلما حضرت وفاته سلمها إلى واحد من ملوك اليزيدية، وصارت تنتقل فيما بين

ملوكهم. ولما وُلد «بربرايا» (إيزيد البربري/يزيد البربري)، تسلم هذه السناجق، ونظّم لها نشيدَين ينشدونهما أمام تلك السناجق بالكرديّة، مع قرع الطبول والصنوج والعزف على الشبابات.

. كان لهم سبعة سناجق، لم يبق منها سوى سنجق واحد، لأنّ الحكومة العثمانية كانت قد أرسلت، سنة ١٣٠٩هـ/١٨٩٤م، جيشاً بقيادة الفريق عمر حسين باشا لإصلاح أحوال العراق. وبعد حروب طويلة مع اليزيدية استولى على خمسة سناجق. إلا أنّهم صنعوا غيرها^(١٩).

في أعلى هذه السناجق تمثال بهيئة ديك، أو طاووس من النحاس، أو الشبّة. ولكلّ سنجق هيئة تختلف عن الآخر، وكلّها مركّبة بصنعة عجيبة بغاية الظرافة^(٢٠). ولكلّ سنجق محلّ خاصّ في قصر الأمير، وله سرير خاص من النحاس، وإناء بهيئة الهاون، موضوع أمام السنجق، والشموع توقد أمامه ليلاً ونهاراً، وتُحرق له البخور العطر على الدوام.

(١٩) راجعها في كتاب «مذكرات المطران بولس داننيل» الذي نشرناه في بيروت عام ٢٠٠١ ويذكر الديمولوجي أنّ الجيش العثماني عثر على أربعة سناجق فأرسلها إلى بغداد حيث حفظت في خزانة الجيش السادس عام ١٨٩٢، ثم أعادتها الحكومة العراقية الى أصحابها عام ١٩٠٨.

(٢٠) تذكر الموسوعة البريطانية ان وزنه ٧٠٠ باوند.

لكلّ سنجق بلاد وضعت في كنفه:

السنجق الأوّل : ديار الشيخان (قرى الموصل ونواحيها).

السنجق الثاني : جبل سنجار.

السنجق الثالث : قرى الخالطة (الخالقية)، وهي من أقضية

ديار بكر.

السنجق الرابع : الهورية (الكواجر)، وهم الرحّل من الأكراد.

السنجق الخامس : المليّة، وهم يزيدية أطراف حلب

ونواحيها.

السنجق السادس : السّر حدار، وهي يزيدية بلاد الرّوس

وغيرها من البلاد الخارجة عن أملاك آل عثمان^(٢١).

وتحفظ هذه السناجق عادة في «خزينة الإله»، أو «خزينة

الرحمن» التي يسمّونها «خاني طاووس (مقر الطاووس)^(٢٢) في

بيت الإمارة في قرية «باعذري» (باعذرة)، من قرى قضاء

(٢١) الاب أنستاس الكرملّي، اليزيدية، المشرق، ص ٣٩٨.

(٢٢) يقول الحسنّي إنّهُ في «خزينة الإله»، «خزينة الرحمن»، حفظت «عصا

موسى» و«حياة إسرائيل» و«مشط لحية الجنيد البغدادي» و«كاس

سليمان» وغيرها. وهم لا يسمحون لأحد مشاهدتها خشية أن يدنو أجله

(هكذا)، وقد أوكلوا أمرَ العناية بها إلى «داية عيشاني» جدّة الأمير

تحسين بك. فلما توفيت عهد ذلك إلى ابنتها (ر: عبد الرزاق الحسنّي،

اليزيديّون في حاضرهم وماضيهم، هامش ص ٩٧.

الشيخان، في لواء الموصل (محافظة نينوى)، إذ لا يجوز أن تكون في غير حيازة الأمير. فإن سلبت منه قسراً، فلا تكون الزيارة لها مقبولة، كما لا تكون النذور المقدّمة إليها صحيحة.

وتعطى هذه السناجق بالالتزام إلى «القوالين» فيما يتراوح من ألفين إلى ثلاثة آلاف وخمسمائة دينار. فإذا أُجديت السنة، أعطيت لهم «بالأمانة»، أي دون تحديد مسبق مقطوع لبدل الطواف بها. ولكن مقابل نسبة معينة، على أن يذهب وكيل الأمير مع «القوالين» لجباية الصدقات والهبات والتبرّعات.

ويطوف بها «القوالون» ثلاث مرات في كلّ سنة «في نيسان وأيلول وتشرين أول»، قاصدين القرى والتجمعات اليزيدية التي كانت لجمع الصدقات. فيرسلون واحداً منها للتجول في منطقة الشيخان، وفي مناطق شمال العراق كافّة (الموصل ودهوك وأربيل وكركوك والسليمانية)، ويطلق عليها إسم «طاووس الشيخان».

ويرسل الطاووس الثاني إلى منطقة جبل سنجار المنعزلة والوعرة وذات التجمع اليزيدي الفخم (حوالي ثلاثمائة ألف). ويسمّى هذا الطاووس الخاص بسنجار بـ «الطاووس شنغال».

والطاووس الثالث، طاووس الزوزانا، يتجول في مناطق أورفة وديار بكر وماردين وسيواس وسعرد وأنطاكية وعينتاب، وبقية المدن والقرى اليزيدية في جنوب وشرق تركيا.

ويرسل الطاووس الرابع إلى مناطق القفقاس، أرمينيا وجورجيا، وأذربيجان وروستوف.

والطاووس الخامس يتجول في الأراضي السورية، محافظة الحسكة ومحافظة حلب واللاذقية ودمشق، وبقية المدن والمناطق والبلديات السورية التي يقطنها اليزيديون.

ويرسل الطاووس السادس إلى إيران، وخصوصاً إلى تبريز ومهاباد وكرمنشاه، وبقية مناطق إيران الغربية وخراسان. ويطلق عليه طاووس عجمتان.

أما «طاووس عنزل» فهو الطاووس الذي يبقى في المركز الديني اليزيدي الرئيسي في قرية «باعذرة»، كما قلنا. ويجب أن يكون باب هذا المركز مفتوحاً بصورة دائمة، جاهزاً لاستقبال الزائرين في أية لحظة. ولا يجوز تحريكه من مقر الزعامة اليزيدية^(٢٢).

أما طقوس الطواف فتجري على النحو التالي :

أولاً يمضون بالسناجق (تماثيل الطاووس ملك) إلى مرقد الشيخ عدي، حيث تتم مراسيم مباركتها وتعميدها بالمياه المقدسة (العين البيضاء)، مع التراتيل المترافقة برقصات دينية قوية ويغلب عليها طابع الانفعال الشديد.

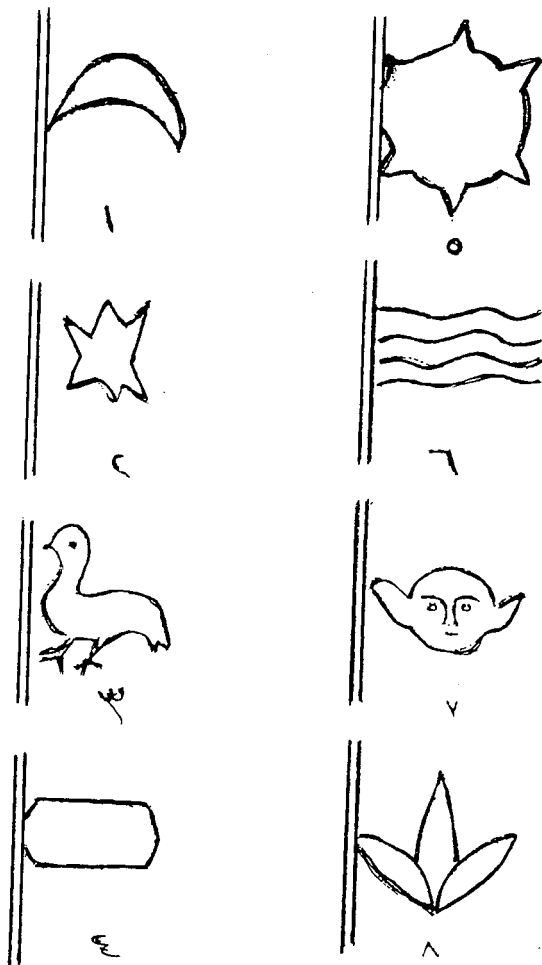
(٢٢) درويش حسو «الازدهيون اليزيديون، ص ٦٠-٦٢.

ثم تأتي المرحلة الثانية، وفيها يأخذ كل واحد من هؤلاء المتضمنين (الملتزمين) حملاً من تراب الشيخ عدي، فيعجن ويقطع إلى كريات صغيرة بقدر حبات «الحمص»، ويحملونها معهم مع السناجق، بغية تقديمها لليزيديين للتبرك. ويطلق عليها «البراته» (البراتا) المقدسة - كما تحدثنا من قبل -.

وفي المرحلة الثالثة، وعند اقتراب السنجق من مدينة أو قرية يزيديّة، يرسل أمامه منادياً لكي يستعدّ الناس لاستقباله كما يليق بالإكرام والتبجيل، فيخرج الجميع للقاءه بالثياب الجميلة الفاخرة، مع البخور والعطور، وتقابله النساء بالزغاريد، وتنفخ المزامير رمزاً للفرح والسعادة.

وفي المرحلة الرابعة، وعند دخول «السنجق» أحد البيوت، تجري «مزادة العشر» لأكبر ما يمكن من التقدّمات والهبات والتبرّعات كلّ حسب إمكاناته. ومن ترسو عليه «المزادة» يدعو السنجق المعظم إلى داره، فينصبه في أبرز موضع، متكئاً على «وسائد خاصة (كما في الصورة المرسومة على الصفحة التالية)...

وتسرج حوله «الشموع»، ويجلس «القوالون» عن يمينه وعن شماله ومعهم «البيرة» أو «البيرة» والشيوخ، فيرتلون الأناشيد الدينية الخاصّة، ويباركون الزائرين بحسب درجاتهم، ولا ينقطع قرع الطبول والعزف بالشبّابات خلال هذه الفترة.



أما الناس فيتدفعون من جوانب القرية التي حلّ الطاووس فيها، وهم حفاة، إذ يحرمّ عليهم لبس شيء في أرجلهم يوم مجيء الطاووس (أو عند مقابلته) فيطوفون حوله سبع دورات، أي بعدد آلهتهم (ملائكتهم) السبعة. وذلك بمنتهى الخشوع والاحترام والإجلال، واضعين أيديهم فوق صدورهم، ومقدمين الهديا والتبرّعات والصدقات والنذور، كلّ حسب طاقته. وكثيراً ما يبلغ «القوالون» في طلب المزيد من التبرّعات والنذور، ويحجبون «البراته» المقدّسة عن الزائرين حتى يقدّموا ما يرضيهم من الصدقات والخيرات.

وبعد ذلك فقط يسمح لهم بشرب الماء من إناء الطاووس، ويسمّونه «طاسة السنّج»، أو «شريكة الطاووس»، وتناول الطعام على مائدة صاحب الدار الذي تشرف بإستضافة «السنّج»، حتّى إذا تمّت طقوس الزيارة ومراسمها، فصلّوا السنّج قطعاً، ووضعوه في كيس يسمّونه «هكبة»^(٢٤)، وينتقلون إلى قرية أو منطقة أخرى. وهكذا دواليك^(٢٥).

(٢٤) هكبة، كما في الجيم المصرية، أو الكاف الفارسيّة، وهي -كما يظنّ- محرّفة من كلمة «حقيبة» وهو نوع من الخرج أو الجوالق.

(٢٥) درويش حسّو، المصدر نفسه، ص ٦٠-٦٢؛ الحسنّي، المصدر نفسه، ص

ومن جانبه يؤكد عبد الرزاق الحسني أن «السناجق التي يتمّ الطواف بها، أربعة فقط: إلى أرمينيا وتركيا، وإلى حلب، وإلى بلاد الروس، وإلى سنجار. أمّا الثلاثة المتبقية فبعد إخراج الأربعة على الصورة المذكورة يحفظ اثنان في مقام الشيخ عدي، ويبقى الثالث في قرية «بحزاني» ليُطاف به في «قرية الشيخان». ولا بدّ من غسل هذه السناجق بماء السمّاق في ليلة إخراجها لرفع الصدا عنها، ثمّ مسحها بزيت الزيتون لتلميعها^(٢٦).



سعيد بك أمير اليزيدية وزوجته

الفصل السابع

المجتمع اليزيدي

ينقسم المجتمع اليزيدي إلى مراتب دينية، وطبقات إجتماعية. ويمتاز بنظام دقيق، كما يمتاز بتقسيم الرئاسة إلى قسمين واضحين، لا تداخل بينهما : دنيوية ودينية. واعتاد اليزيديون الانصياع لأوامرهما. ويؤمنون بأن هذه الطبقة نزلت من السماء لتحافظ عليهم.

أولاً - الأمير

وهو الرئيس الدنيوي لليزيدية، ويسمى (أمير ميري شيخا) رئيس الزمان والعالم والسياسة. إنه وكيل الشيخ عدي أوكله موضعه. يتم انتخابه من قبل الطائفة، شريطة أن يكون من نسل الأسرة الحاكمة على حسب عاداتهم الموروثة. ولا يشترك في الانتخاب رجال الدين ولا زعماء القبائل.

والأمير مصون غير مسؤول، معصوم، وعصمته أتت، بحسب اعتقادهم، أن جزءاً من الله حل فيه، فهو ذو حق مطلق في حكمه في رعيته، لأنه وكيل الشيخ عدي، وله نفوذ كبير في شعبه، حيث يجمع في يده السلطتين الزمنية والدينية^(١).

وعلى الرعية طاعة الأمير، ومن يقصر في طاعته، أو يقلل من تبجيله واحترامه، خضع لعقاب شديد وقطعي^(٢). ولا يجوز للأفراد أن يحولوا دون رغبات أميرهم. وعليهم أن يقدموا له ما يشاء بكل رحابة صدر^(٣).

على الأمير أن يكون عادلاً، منصفاً، كريماً، شهماً، صادقاً ومستقيماً^(٤).

(١) كانوا على عهد قريب إذا مرض طفل أو أصيب بعاهة، نذر والده للشيخ عدي، فإذا سلم الطفل وشفى غدا ملك الأمير. كما إن النساء كنّ ينذرن إلى الله إذا رزقهن ولداً وهبته للأمير، وله حق الاحتفاظ به أو بيعه، سيما إذا كنّ عاقرات لا يلدن.

(٢) كمصادرة منزله وماله وحرمانه من حقوقه المدنية والدينية.

(٣) خضوع اليزيدية له ضرب من العبادة لأنهم لا ينكرون عليه شيئاً يطلبه منهم، وما يستحسنه يصير فرضاً واجباً على كل فرد من أفراد ملته، بلا معارض ولا منازع. (الحسني، اليزيديون، ص ٦٩-٧٠) (صديق الدملوجي، اليزيدية، ص ٢٩٥؛ مجلة المقتطف، ع ١٣ (١٨٧٩)، ص ٣٩٣؛ ومجلة الجنان البيروتية (١٨٧٦)، ج ٧، ص ٥٢٨.

(٤) ومن مات وليس له وريث ورثه. وإذا خطبت إحداهن ولم يكن لها أحد من

إنّه المتولّي على أوقاف الشيخ عدي، والمتصرّف بغلال أرضه.

وبإليه تأتي النذور والصدقات والغرامات^(٥) والرسوم^(٦)، فيتصرف في كلّ ذلك بمطلق مشيئته^(٧).

وهو المكلف بمساعدة الضعفاء من أفراد أسرته.

وهو المسؤول عن السناجق التي في بيت إمارته، فلا تخرج إلاّ بأمره، ولا يطاق بها إلاّ بعلمه وموافقته^(٨).

يضع على رأسه غطاء هو بمنزله التاج، ولا يخلعه ليلاً ولا نهاراً. ولا يجوز لأحد توجيه الإهانة لتاجه.

وفي يد الأمير حقّ حياة رعيته وموتهم.

ولا يجوز، أو يجرؤ أحد على خلعه أو عزله أو المطالبة بتبديله إلاّ في حالة الموت. كما لا يجوز لأحد قتله، وإن كان ذلك ممكناً من قبل أحد أفراد أسرته^(٩).

الأرحام يقبض مهرها تحوّل الى الأمير.

(٥) التي تفرض على من يخالف أحكام الشريعة اليزيدية.

(٦) التي تفرض على رعاة الأبقار والأغنام.

(٧) ليس لأحد أن يحاسبه حتى على تذييره لأنهم يحملون صغار أخطائه

على حسن نيته وطهارة قلبه.

(٨) عبد الرزاق الحسني، نفس المصدر، ص ٧٠.

(٩) د. محمد التونجي، المصدر نفسه، ص ١٦٠.

ثانياً - الرئاسة الدينية

رجال الدين سبع طبقات، لا يجوز لأي طبقة أن تتخطى مقامها. والطبقات هذه هي:

١ - باباشيخ :

هو الرئيس الأعلى، من سلالة الشيخ فخر الدين، قدوة المشايخ وكبير علمائهم في الأحكام الدينية. له القول الفصل. يتّصف بالتقى والعدل والاستقامة. يمثل السلطة الروحية في الحجّ المقدس. ويحتفظ بسجادة الشيخ عدي. ويبين أحكام الصوم والصلاة والزكاة. ويفسّر أحكام الشريعة. وينظم أعمال الكواجك. وهو المسؤول عنهم^(١٠).

هو مستشار الأمير في الأمور الدينية، والأمير يرجع إليه وحده من بين رجال الدين، وينفذ آراءه. وإذا أراد الأمير إجراء إصلاحاتٍ ما في بناء مرقد الشيخ عدي كلّف باباشيخ بالإشراف عليه. وهو الذي يُخرج السجادة المقدسة لينظر إليها الاتباع ويتبرّكوا بها، ويقدموا ندوراتهم لها. ويأتيه اليزيديون من جميع

(١٠) مقام الباباشيخ في اليزيدية مثل مقام «البابا» في الكاثوليكية، أو المرجعية الشيعية، أو المفتي عند «السنة».

الجهات لإستفتائه في ما يتعلق بقضاياهم الدينيّة والفقهية والروحية.

يقيم الباباشيخ في القرية التي ينتمي إليها، ويعيش بين أهله. ولا يجوز أن يخلق لحيته، ولا يأكل إلا بملعقته، ولا يشرب من كأس شرب بها غيره، ولا يجلس إلا على سجّادته. وإذا حلت أيام «الطواف»، أو الزيارة «الحج» عندهم يسير حافي القدمين صيفاً وشتاءً، شمساً ومطراً.

لباسه رداء مصنوع من الصوف الأبيض، يربط فوقه حزاماً من الصوف الأسود طوله تسعة أمتار. ينتهي بعدد من الحلقات أو الكرات المقدّسة.

تحت إمرة الباباشيخ جملة من الشيوخ، يتلقّون تعليماته وتوجيهاته، وينفّذونها في قراهم وأماكن تجمّعاتهم وإقامتهم^(١١). وإذا مات، أو عزله الأمير أو الناس - وهذا نادر جداً - يجتمع زعماء القبائل وشيوخها في مرقد الشيخ عدي، أو منزل الأمير في باعذرة، وينتخبون شيخاً آخر، الذي يشترط أن يكون من سلالة

(١١) يتكوّن المجلس الديني اليزيدي ومسؤولو الإدارة الدينيّة والزمنيّة من: ميري شيخا (الامير) رئيساً. ميرحاج المسؤول عن مالية الامير، وشيخو بكري بيش إمام مسؤول «البيش إمامية»، ومشايخ الملك شيخ حسن، ب.بي شيخ، الباباشيخ، شيخي وزير مسؤول الشمسانية كافة، رئيس القوّالين وهو مسؤول القوّالين في المجلس الديني.

«شيخى فخر»، أي الشيخ فخر الدين، على أن يقترن هذا الانتخاب بمصادقة الأمير، فمصادقة هي ضرورية على كل حال.

٢ - الشيخ :

ينتمي شيوخ اليزيدية إلى ثلاثة أصول كما يقولون. هي: الآدانية والشمسانية والقاتانية. ويرجع نسبها إلى أصل واحد، وقد حلّ فيهم جزء من الله. وهو الذي يمنحهم تغيير مجرى الأحداث. ويستطيعون أن يتصرفوا في شؤون العالم، وهم مخولون في التجول بين القرى جميعاً. ولكل شيخ إختصاص في معالجة بعض الأوبئة وردّ النكبات، فسلالة الشيخ «منت» مثلاً مُنحت أن تقوم بالخوارق والعجائب في رصد الحيات والعقارب. ويزعمون أنهم إذا أمسكوا بالحيات الخبيثة لاتؤذيهم، وهم لا يأكلون لحومها.

ولكل شيخ مریديون محسنون إليه. والعادة أن يطوف الشيخ على مریديه مرتين في السنة، فيجمع منهم غنماً وبقراً وسمناً وصوفاً، أو حنطة وشعيراً وقطناً وأرزاً، أو بسطاً وملاءات، أو نقوداً. ومن لا يرضى شيخه يُحرم، وإذا حُرّم عدّ كسقط المتاع الذي لا يشتري ولا يباع.

٣ - البير :

تعني كلمة «البير» بالكردية أو الفارسية «العجوز» أو «شيخ الطريقة». وتُجمع بصيغتين «بيرة» و«بيورة». والبير دون مرتبة

الشيخ. و«البيرانية» هم من أحفاد البيري كار، أي الأحفاد المتّحدين مباشرة من الملك طاووس. وهم تسعة وتسعون طائفة ينتمون إلى ثلاثة أجداد، هم: بيري سمانا، بيري سيبا، وبيري حاج مامدي^(١٢).

و«البيرة» يلون الشيخ في مراتبهم الدينيّة، أباحت لهم الشريعة حقّ التزاوج فيما بينهم، والانتشار في القرى أينما شاءوا، لأنّ البير مرشد الطائفة وموجّه أفرادها نحو واجباتهم الدينيّة. وهم يكفّون في أيام عيد الجماعيّة والأربعينيّتين بالذهاب إلى مقام الشيخ عدي لإطعام المريدين بأموالهم ووعظهم. وإنّ رحمة الله وغفرانه بأيديهم، والتربة المقدّسة تحت اختيارهم. وهم الذين يتوسّطون لليزيديّة عند الملك طاووس، كما يقومون بمعالجة الحالات المرضيّة واستنزال شأبيب الرحمة والمغفرة بالتائم.

٤ - الفقير :

الفقير لفظة تدلّ عند اليزيديّة على الزاهد والمتعبّد والناسك، الذي زهد في الدنيا، ورغب في الآخرة (على مذهب الحلول والتناسخ). ويقول يزيديّة سنجار إنّّه كان للشيخ عدي فقراء من الهند، وربما يكون فقراؤهم الحاليّون من حفدة أولئك الفقراء الهنود.

(١٢) راجع درويش حسّو، المصدر نفسه، ص ٤٦-٤٧. وأيضاً عبد الرازق الحسنّي، المصدر نفسه، ص ٧٣-٧٤.

وفقراء اليزيدية، مثل رهبان المسيحية، أو فقراء الهنود، هم صلحاء الطائفة، ذوو سيرة حسنة في الجماعة، لكنهم يتدخلون، أحياناً، في أمور غير منوطة بهم، فيؤذون أنفسهم، ويلحقون الضرر بالرعية.

يتميزون باللباس البسيط، ويسمونه «الخرقة»^(١٣). ويضع الفقير على رأسه عرقية أو طاقية، يسمونها «كُمة الفقير» أو كلكة الفقير؛ كما أن له حبلًا دقيقًا يربطه إلى عنقه، يسمونه «المفتول»، أو «طوق يزيد». وهذه القطع الثلاث: الخرقة، والكُمة، والحبل المفتول، تفرض احترامها لمرتديها؛ حتى وإن أخطأ أو خالف. ولا يجوز الاعتداء عليه إحتراماً لها مهما أجرم. كما أنه لا يجوز الحلف بالخرقة كذباً.

وإذا أقدم «فقير» على ضرب يزدي، وإن كان من أصحاب الرتب الدينية، فليس للمضروب أن يردّ على ضربته، وإنما يتحتّم عليه أن يقف أمامه مصلّباً يديه على صدره ليعلن بذلك استعداده لتلقّي ضربات أخرى.

(١٣) الخرقة عبارة عن عباءة سوداء قصيرة من الصوف، يغطي الفقير بها صدره واطرافها ذات لون أحمر، تربط عند الخصر بحزام أحمر وأبيض، وهو لا يخلعها حتى تهترى، فيبدلها بغيرها، ويعلق القديمة في مكان خاص. وإذا مات دفنوها معه. وإن وجد فيها «قمل» فلا يقضى عليها.

و«الفقير» لا يخلق لحيته وشاربيه، ولكن إذا خالف أوامر وتعليمات «أمير الشيوخ»، يحرم عندئذ من ارتداء اللباس الديني المذكور، ويحلقون وجهه ويُطرد من الجماعة^(١٤). ومنصب الفقير متوراث.

و«الفقيرات» هنّ من النساء الأرامل اللائي وهبن حياتهنّ لخدمة لالش، بأن يمضين عمرهنّ بصنع فتيلات مصابيح المزار^(١٥).

٥ - القول :

«القول» صفة الحادي، أي مرثّل الأناشيد الروحية، إضافة إلى إنشاد الأشعار في المحافل الدينية والأعياد والأفراح. وغالباً ما يكون القولون من الشعراء المحليين، ويدعون أنّ أجدادهم عرب من برّ الشام رافقوا الشيخ عدي، فظلّوا معه، فخصّهم بحفظ أسرار الشريعة. يصاحبون الملك طاووس، وينشدون أمامه المدائح، ويتجوّلون في القرى ليجمعوا النذور والصدقات.

والفقراء يعلمون أولادهم الرقص الديني، وعلم الغيب، والضرب على المزاهر والدفوف، وإنشاد القصائد، حتّى يخلّفوا آباءهم. وكان القول الوحيد المسموح له بالقراءة والكتابة.

(١٤) اسماعيل جول، المصدر نفسه، ص ٩١.

(١٥) د. التونجي، المصدر نفسه، ص ١٦٧. في سنجار قبيلة كاملة من الفقراء.

٦ - الكوجك :

«الكوجك» هو أفضل المراتب الدينية. يعتبرونه بمنزلة النبي. والكواجك (جمع الكوجك) طائفة كبيرة العدد، وأغلبهم من الحجاج. تقتصر وظائفهم الدينية على تغسيل الأموات، وتكفينهم ودفنهم، واكتشاف مصائرهم^(١٦). إضافة إلى ذلك يقوم الكوجك بخدمة بيت الشيخ عدي، والمزارات في لالش، كنقل الأحجار، وقطع الأخشاب، وتنظيف الساحات تحت إشراف الشاويش. والكوجك العازب يُقيم في المرقد طوال حياته. وهو كذلك بمثابة الطبيب، يعود المرضى ويصف لهم الأدوية^(١٧).

لقد أوجبت العقيدة اليزيدية إحترام الكواجك، وتصديقهم في أقوالهم وأفعالهم. وانسجاماً مع هذه القناعة، يرى الباحث اليزيدي درويش حسو: «أنّ الذي يقوله الكواجك في أكثر الأحوال حقيقة وواقع»^(١٨).

(١٦) إذا أراد «الكوجك» ان يتنبأ عن المستقبل، التحف بعباءته واضطجع على الأرض وأخذ يدمدم ويترنم، ثم يروي للحاضرين ما يتراءى له من المغيبات، زاعماً انه يعرف كل ما حدث في العصور الماضية من أيام آدم الى يومنا هذا.

(١٧) الدواء واحد لجميع الامراض والعاهات... وهو عبارة عن «تربة» المزار القلاني، يضعه الكوجك على الجبهة او البطن، بحسب نوع المرض.

(١٨) درويش حسو، الازدهايون اليزيديون، ص ٥٣.

قد جاء في كتابهم المقدس «الجلوة» ما نصه: «إحفظوا سنني وشرائعي، وحافظوا عليها، وأطيعوا وأصغوا لخدّامي إلى ما يقولون، وبما يلقّنوكم من علم الغيب الذي هو منّي»^(١٩).

ومن أراد أن يبلغ مرتبة الكوجك، عليه أن يدخل «منبر الأربعين شيخ»، ويزور «الأربعين سراج»، ويقسم اليمين على أن يكون في غاية الصفاء والولاء والخدمة للشيخ عدي، وأن يترك الدنيا، ويعزف عن مباحجها وما فيها من نعم، وأن يصوم أربعين يوماً أربعين مرّة، ويقصد مقام الشيخ عدي مرّة ثانية، فيزور الأربعين سراجاً، ويدخل منبر الأربعين شيخاً، ثم يقصد الـ «باباشيخ» لكسب البركة، ويمنحه سلطة ممارسة الواجبات المذكورة^(٢٠)، فيمنحه الباباشيخ زناداً وحلقتين من المعدن الأصفر^(٢١).

وإذا حلّ بالبلاد بلاء أو ضيق يطلب الشيخ الكبير من الكواجك جميعاً الدعاء والصلاة، فيجتمعون في مرقد الشيخ عدي، أو في منزل الشيخ الكبير عدّة ساعات. كما أن الشيخ الكبير يجمع

(١٩) أنظر النص الكامل لكتاب «الجلوة» وخصوصاً الفقرة الأخيرة منه، في الملحق رقم (٢) من هذا الكتاب.

(٢٠) عبد الرزاق الحسني، المصدر نفسه، ص ٧٦ - ٧٧، وكذلك درويش حسو، المصدر نفسه، ص ٥٢ - ٥٣.

(٢١) إن هذا الاختبار ليس يسير المنال، انما يتطلب قدرات وطاقات خاصة.

الكواجك عشر مرات سنوياً في عشرة أعياد، حيث يتوجهون نحو مرقد الشيخ عدي، فيخدمون المكان وينظفونه. كما وترجع مهمة الشيخ عدي إلى مجموعة الكواجك. وهم يتباهون بهذه المهمة.

٧ - المريد :

المريدون^(٢٢)، وهم عوام الشعب، وسائر أفرادهم، يخضعون لأوامر رؤسائهم الروحيين خضوعاً مطلقاً، ويتقبلون أوامرهم ونواهيهم دون مناقشة أو اعتراض بالطاعة العمياء.

ولا بد أن يكون لكل مريد أو مريدة شيخٌ وبير معاً، فيقدّم إليهما النذور والخيرات، ويتلقى منهما التعليمات والإرشادات. وإذا مات أحدهما أو حرمه الأمير، ولم يكن بين سلالته من يحلّ محله، لجأ المريد إلى الأمير فيختار له بدل المتوفي، أو المحروم، أحداً ما لقاء مبلغ يتفقان عليه. والمريد الذي لا شيخ له ولا بير، يعدّ خارجاً على العقيدة^(٢٣). والمريدون يتزوجون فيما بينهم، فلا يحقّ مصاهرة السلالات، الأخرى. أي أنهم كالمنبوذين في الهند^(٢٤).

(٢٢) يقول عبد الرزاق الحسني: «المريد في اليزيدية بأنه البقرة الطوب» (المصدر نفسه، ص ٧٧).

(٢٣) صديق الدملوجي، المصدر نفسه، ص ٧٠.

(٢٤) عبد الرزاق الحسني، المصدر نفسه، ص ٤٨ - ٤٩.

الفصل الثامن

التقاليد الشعبية لدى البزيرية

١. الملابس والازياء :

إن ثياب الرجل عادةً بيضاء، تُزَرُّ من الورا، وصدره مجوبٌ جوباً مستديراً إلى التندوتين، ويفعلون ذلك تلميحاً إلى النور الذي نزل على الشيخ عدي بهيئة قرصٍ مستدير بعد أن صام أربعين يوماً - وهذا الجوب يسمى «طوق يزيد». ويلبس الرجال، ما عدا الثوب، سراويل بيضاء أيضاً على هيئة الشروال السوري أو العربي. وأما عمرتهم، أي ملبوس الرأس، فهي عمامة بيضاء صغيرة الحجم^(١). ويتمنطقون بمنطقة من النسيج مهما كان لونه. ويلبسون في أرجلهم الكالات^(٢).

(١) أو تكون أحياناً مخروطية الشكل مصنوعة من اللباد.

(٢) الكالة، يراد الحذاء الذي يتخذ وجهها من نسيج غليظ وأرضيتها من

الجلد. وهي كلمة بغدادية قديمة.

والنساء يلبسن دشداشة طويلة^(٣)، وتحتها سراويل. وعليهن ملحفة تسمى عندهن «ميزر»^(٤). وتلبس الملحفة بإرسال الطرف الواحد منها تحت الإبط الأيسر وإخراج طرفه الآخر من اليد الأخرى حتى يلتقي مع الطرف الآخر على الكتف من اليمين؛ ثم يعقد ويترك الجانب الأيمن من المرأة من فوق إلى تحت غير محجوب.

ألفقيات من النساء يمشين حافيات الأرجل. وأما إذا كن غنيات فيلبسن في أرجلهن الأجداك^(٥).

وأما عمرة النساء فهي عبارة عن شيء يشبه عمامة الرجل لكن بوضع خصوصي بهن، وتكون بيضاء أو سوداء؛ كل امرأة بحسب اختيارها. والسوداء تسمى عندهم بوشي (Pochi).

٢. الأخلاق والعادات :

يمتاز اليزيدية بالصدق في كلامهم والقيام بعهودهم خوفاً إذا كذبوا وخانوا عهدهم يلعن طاووس ملك، وإذا لعن واحد أمامهم الشيطان يغضبون عليه ولا يتركونه إلا بعد أن يقتلوه.

(٣) الدشداشة، الدراعة، تتخذ من القطن. وهي كلمة عراقية مشهورة.

(٤) وهي تصحيف كلمة «المئزر» العربية.

(٥) جمع جدك، وهي جزمة. النساء مع بابونج فوق الجزمة.

ومن عوائدهم الحلف. وهم يحلفون بالله و الملك طاووس، وبالثياب السود وبلايسها، وبرؤوس أصحابها. وإذا أراد الواحد أن يتأكد أمراً من صاحبه بغير طريقة اليمين يرسم حوله دائرة، ويقول له: "ها أنت في «خيس يزید»، أي دائرته، فإن كنت صادقاً قل: "أخرج من خيس يزید على أن ما أقوله هو عين الحقيقة". فإذا كرّر هذا المسجون بالدائرة هذا الكلام تحقق صاحبه أنه لا يكذب، وبالعكس فمعناه يكذب.

٣. مدن اليزيدية وقراهم :

يتواجد اليزيدون في أنحاء عديدة من الأماكن وبنسب مختلفة. في بلاد الهند ويعرفون باسم الليخوس أو الكبوس، وفي بلاد الروس، وبلاد كوه قاف وهم السرحدار. ومنهم في شمال شرقي سورية وهم المليّة. ولكن أغلب انتشارهم وبكثافة ملحوظة في بلاد ما بين النهرين، أو الجزيرة. وهم المعروفون باليزيدية، وخاصة في العراق الحالي.

أما أهم مدنها وقراهم فمنها :

١ - سنجار :

وهو جبل في الشمال الغربي لمدينة الموصل العراق. وتعني بالفارسية النسر، وفي السريانية تسمى «شيك» أو «شنكر». فيها كثافة سكانية من اليزيدية حيث تنتشر قراه باطراف هذا الجبل

إضافة إلى المدينة (سنجار) ذاتها. وكانت قاعدة أبرشية سريانية واسعة.

٢ - الشيخان :

سهل واسع فيه قرى عديدة تربو على العشرين، وتعني الشيوخ. ومن أهم حواضرها عين سفني مركز القضاء.

٣ - بعشقة :

ألبعض يلفظها بحشيقة (باحشيقا أو باعشيقا) وهو خطأ.. وهي قرية شرقي الموصل على مسافة ١٦ ميلاً. وقد تعني بالسريانية «بيت المظلوم» أو المتهم. سكّانها مسلمون ومسيحيون ويزيديون. لها في كتب التاريخ والبلدان ذكر قديم. تشتهر ببساتين الزيتون وصناعة الصابون.

٤ - باعذري :

على ٤٤ كيلومتراً شمالي شرقي الموصل، والكلمة سريانية منحوتة من «بيت عدرو»، أي بيت اللتجأ. تابعة لقضاء الشيخان، سكّانها يزيديّة. قد تلفظ باعذري او باعذرا، وفي الأرامية تعني بيت العماد، أو الدقل. لها ذكر في الكتب التاريخية القديمة، وقد عقد فيها المجمع النسطوري عام ٤٨٦ م.

٥ - بحزاني :

لفظة منحوتة من «بيت حزونو» السريانية، أي مكان الوحي أو الأحسن الموحى. قرية كبيرة تابعة لناحية بعشيقة على ١٦ ميلاً شرقي الموصل. تقوم في لحف جبل بعشيقة على نحو كيلومترين غربها. أغلب سكانها من اليزيدية.

وبحزاني مقر هام لرؤساء اليزيدية، فيها مراقد ومزارات دينية مختلفة. منها: عبد رش، الشيخ حسن، الشيخ مند، الشيخ عبد العزيز، الشيخ شمس وغيرها. تكثر فيها بساتين الزيتون، وفيها عين ماء كبيرة تنبع من الجبل وتسقي أراضيها، وتشتهر بصناعة الصابون.

٦ - عين سفني :

من لفظة «عينو شفيتو» السريانية، أي العين الصافية. قرية في شمال شرقي الموصل على ٥٠ كيلومتراً منها. وهي مركز قضاء الشيخان، يسكنها اليزيدية. لها ذكر قديم في بعض المصادر السريانية. وقد كانت مركزاً أسقفياً للنساطرة. عُرف من أساقفتها «برسهدي» الذي حضر مجمع مار حزقيال الجاثليق الذي عقد سنة ٥٧٦م. فيها بضعة مراقد مقدسة عند اليزيدية تنسب إلى شيوخهم.

٦ - بوزان :

بجوار القوش، من «بوزيو» او «بوسيو». منها المؤلف الشهير مار يوسف بوسنايا النسطوري. تقع شمال الموصل على ٣٥ ميلاً منها، يقطنها اليزيديون. يحتفلون فيها بعيد رأس السنة (سري صال)، ويجتمع فيها يزيديو القرى المجاورة.

٧ - جروانة :

قرية صغيرة شمال شرقي الموصل على ٣٠ ميلاً منها. تابعة لقضاء الشيخان. فيها زهاء مائتي بيت لليزيدية. إلى جانبها آثار القناة العظيمة التي شقها الملك الأشوري سنحاريب (ت ٦٨١ ق.م.)، ليجري الماء فيها من نهر الكومل إلى أرض نينوى فترويه.

٨ - ومن الحواضر اليزيدية. أي القرى المنتشرة في محافظة نينوى (الموصل):

طفيتا، كابار، خورزا، شيخدري (شيخ خضر)، تلخش، باقصري، سينا، كرسكتي، خانكوقياخ، خطار (ختار)، دوغات، سربجكا، بربوبي، مقلب، جكانا، زينيا، جراحية، جبل دهكان، جبل عين الصفراء، الشيخ أبو بكر... إلخ.

الملحق الأول نص "كتاب الجلوة"

مصحف في خمسة فصول. عدد كلماته: ٤٩٠ كلمة. كلُّها نصائح وإرشادات الملك طاووس لأتباع الديانة اليزيدية، مبيِّنًا قدرته وأفعاله. منسوب إلى الشيخ عدي. يعتقد اليزيديون أنَّه قدَّمه إلى أمين سرِّه فخر الدين قبيل موته.

المقدمة

- ١ - الموجود قبل الخلائق هو ملك طاووس.
- ٢ - وهو الذي أرسل عبطاووس إلى هذا العالم لكي يُميِّز ويفهِّم لشعبه الخاص، وينجيَّه من الضلال والوهم.
- ٣ - وأوَّل ذلك كان بتسليم الكلام شفاهيًّا، ثمَّ بواسطة هذا الكتاب المسمَّى جلوة، وهو الكتاب الذي لا يجوز أن يقرأه الخارجون عن الله.

الفصل الأوَّل

- ١ - أنا كنت، وموجود الآن، وأبقى إلى النهاية، بتسلُّطي على الخلائق وتديبيري مصالح وأُمور لكلِّ الذين تحت حوزتي.

٢ - حاضر أنا سريعاً للذين يثقون بي ويدعونني حين الحاجة.

٣ - ما يخلو مني مكان من الأمكنة. مشترك أنا بجميع الوقائع التي يسميها الخارجون ضرورياً لأنها ليست مصنوعة حسب مرامهم.

٤ - كلُّ زمن له مدبر، وذلك بشوري. كلُّ جيل يتغير رئيس هذا العالم. حتى الرؤساء يكون كلُّ واحد بدوره وتوبته يكمل وظيفته.

٥ - أعطي رخصة حسب الحق للطبيعة المخلوقة بأخلاقتها.

٦ - يندم ويحزن الذي يقاومني.

٧ - الآلهة الأخرى ليس لها مداخلة بشغلي ومنعي منها عما قصدته مهما كان.

٨ - ليست الكتب الموجودة بين الخارجين هي حقيقة، ولا كتبها المرسلون لنا. لكن زاغوا وبغوا وبدلوا. كلُّ واحد يبطل الآخر وينسخه.

٩ - الحق والبطل معلوم وهما مشهوران من وقوعهما بالاختبار والتجربة.

١٠ - وعيدي للذين يتكلمون على ميثاقي. وأخالفه حسب رأي المدبرين الحذاق الذين وكلتهم لأوقات معلومة مني. أذكر أموراً وأحرّم الأشغال اللازمة بحينها.

١١ - أرشد وأعلم الذين يتبعون تعليمي، ويجدون لذّة وفرحاً بموافقتهم معي.

الفصل الثاني

- ١ - أكافئ وأجازي نسل آدم بأنواع أعرفها.
- ٢ - بيدي التسلّط على كلّ ما في الأرض وفوقها وتحتها.
- ٣ - ما قبل مصادمة العوالم.
- ٤ - وما أمتنع خبرهم مخصوصاً للذين هم خاصّتي وبطوعي.
- ٥ - أسلم شغلي بيد الذين جرّبتهم وهم حسب مرامي.
- ٦ - أترأى بنوع من الأنواع وشكل من الأشكال للذين هم أميون وتحت شوري.
- ٧ - آخذ وأعطي، أغني وأفقر، أسعد وأشقي، حسب الظروف والأوقات.
- ٨ - وليس من يحقّ له بأن يتداخل، أو يمنع بشيء من تصرفي.
- ٩ - أجلب الأوجاع والأسقام على الذين يعادونني.
- ١٠ - ما يموت الذي هو حبيبي كسائر بني آدم.
- ١١ - وما أسمح لأحد بأن يسكن في هذا العالم الأدنى أكثر من الزمن الذي هو محدود منّي.

٢١ - وإذا شئتُ أرسلتهُ تَكَرَّارًا، ثانيًا وثالثًا، إلى هذا العالم أو غيره، بتناسخ الأرواح.

الفصل الثالث

١ - أرشد بلا كتاب، أهدي غيبًا أحبائي وخواصي. وتعليمي هو بلا كلفة.

٢ - موافقة الحال والزمان أقاصص الذين يخالفون شرائعي بالعوالم الأخر.

٣ - بنو هذا آدم لا يعرفون الأحوال المزمعة، ولذلك يسقطون أوقات كثيرة بغلط.

٤ - حيوانات البرّ وطيور السماء وسماك البحر جميعًا بيدي وتحت ضبطني.

٥ - الخزائن والدفائن المدفونة تحت قلب الأرض معلومة عندي وأخلفها من واحد للآخر لمن أريد.

٦ - أظهر معجزاتي وعجائبي للذين يقبلونها ويطلبون مني بحينها.

٧ - مضادة ومخالفة الأجنيين لي ولاتباعي هي ضرر عليهم، لأنهم لا يدرون العظمة والثروة. هم بيدي. وأختار من يليق لها من نسل آدم.

٨ - تدابير العوالم وانقلاب الأجيال وتغيير كل مدبرهم
منظومة منّي منذ القديم.

الفصل الرابع

- ١ - حقوقي ما أعطيتها لغيري من الآلهة.
- ٢ - أربعة عناصر، وأربعة أزمنة، وأربعة أركان سمحتُ بها
لأجل ضروريات المخلوقين.
- ٣ - كتب الأجنيبيين مقبولة نوعاً بالذي يطابق ويوافق سُنَّتِي.
وما يخالفها هم غيروه.
- ٤ - ثلاثة أشياء هي ضدي وثلاثة أسماء أبغضها.
- ٥ - الذين يحفظون أسراري ينالون مواعيدي.
- ٦ - جميع الذين يحتملون المصائب بسببي لا بدّ أن أكافئهم
بأحد العوالم.
- ٧ - أريد أن يتّحد أبنائي برباط واحد، وكذلك كلّ تابعي لأجل
مضادة الأجنيبين لهم.
- ٨ - يا أيّها الذين تبعتم وصاياي! أنكروا أقوال وكلّ التعاليم
التي ليست من عندي. ولا تذكروا إسمي وصفاتي لئلاّ تذبّخوا لأنكم
لستم تدرون ما يفعل الأجانب

الفصل الخامس

١ - كَرَّمُوا شَخْصِي وَصُورَتِي لِأَنَّهُمْ يَذْكُرُونَكُمْ بِي. الأَمْرُ
الَّذِي أَهْمَلْتُمُوهُ مِنْ سَنِينَ.

٢ - وَشَرَائِعِي أَطِيعُوا وَاصْغُوا لَخِدَامِي مِمَّا يَلْقَنُوكُمْ مِنْ عِلْمِ
الْغَيْبِ الَّذِي هُوَ مِنْ عِنْدِي.

تَمَّ كِتَابُ الْجُلُوتِ

مِنَ النَّصِّ نَجَدَ فِيهِ كَلَامٌ غَيْرُ مُنْتَظَمٍ: فِي قَدَمِ اللَّهِ تَعَالَى،
وَبَقَائِهِ، وَقُدْرَتِهِ، وَوَعْدِهِ، وَوَعِيدِهِ، وَذَكَرَ اللَّهُ الْقَوْلَ بِالتَّنَاسُخِ، وَفِيهِ
كَذَلِكَ أَنَّ الْكُتُبَ السَّمَاوِيَّةَ الَّتِي هِيَ بَيْنَ أَهْلِهَا مَبْدَلَةٌ مُحَرَّفَةٌ. فَمَا وَافَقَ
مِنْهَا كَلَامَ الْبِزْيَدِيَّةِ صَحِيحٌ، وَمَا خَالَفَهُ فَمِنْ تَبْدِيلِهِمْ وَتَحْرِيفِهِمْ.

وَفِيهِ أَيْضًا حَوْلَ الْحَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ وَالْبَحْرِيَّةِ وَالْفَضَائِيَّةِ
وَالَّتِي تَتَحَرَّكُ وَتَحْيَا تَحْتَ إِمْرَتِهِ، وَكُلُّ مَا فِي دِفَائِنِ الْأَرْضِ وَاضِحٌ
لَهُ. يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ.

وَيُوصِي اللَّهُ فِي هَذَا الْكِتَابِ بِأَنْ يُجْلَوْهُ وَيَحْتَرِمُوهُ، وَبِأَنْ
يَحْفَظُوا شَرَائِعَهُ وَيَعْمَلُوا بِهَا.

الملحق الثاني نص «مصحف رش»

كلمة «رش» كردية تعني الأسود، أي المصحف الأسود^(١)، وهو أكبر قليلاً من كتاب «الجلوة». وعدد كلماته من ٧٥٠ كلمة، ومن غير فصول. ومضمونه يختلف عن مضمون «الجلوة» :

ففيه حديث خلق السموات والأرضين، وما فيها من بحار وجبال وأشجار، وخلق الملائكة وأعمالهم، والعرش، وخلق آدم وحواء، وكيفية إخراجهما من الجنة، وإرسال الشيخ عدي بن مسافر من أرض الشام إلى لالش في شمال العراق، وما كان من نزول الملك طاووس إلى الأرض، وإقامته ملوكاً لليزيدية، ومقاومة اليهود والنصارى والمسلمين والعجم، لأنهم يخالفونه.

وفيه أن الطوائف البشرية كافة من نسل آدم وحواء، أما نسل اليزيدية فخلق خاص. وفيهم شيت ونوح وأنوش، وهم آباء اليزيدية الأولون، فمن نسل آدم وحده.

وإن طوفاناً أتى على اليزيدية بعد طوفان نوح، مضى عليه الآن سبعة آلاف سنة. وكان ينزل في كل ألف سنة إله من السماء يشرع لهم الشرائع

(١) منهم من يقول أنها سريانية، وهي من «ريشاً»، أي الراس، أي: الأول والرئيسي.

ويسنّ السنن.

وفيه مراتب الآلهة وأعمالهم: فالأول هو الله الأعظم الفعال لما يريد، والمسيطر على الآلهة جميعاً ويتحكم فيها. ويأتي بعده رئيس الآلهة، وأولهم هو الملك طاووس، يتلون الآلهة الأخرى حتى يصل إلى يزيد (إيزيد)، وهو أحد الآلهة السبعة، وينظرهم إنّه المشرّع الأعظم، وهو الذي ينزل إلى الأرض.

ويتضمن الكتاب أيضاً شرائعهم، وما أحلّ لهم وما حرّم عليهم في الزواج والصوم والصلاة والحجّ والزكاة والزيارات والميت، وشرح أمر الطواف بسناجقهم في البلدان والقرى لجمع الصدقات والنذور، وزيارتهم لقبر الشيخ عدي، وما يفعلونه في عيد رأس السنة، من قطف الأنوار الحمراء، وذبح الذبائح وإطعام الفقراء وزيارة القبور.

ويرون أنّ مصحف رش كُتب بعد وفاة الشيخ عدي بمئتي سنة. وفيما يلي النص الكامل

النصّ

١ - في البداية خلق الله الدرّة البيضاء من سرّه العزيز. وخلق طائر اسمه «أنقر»، وجعل الدرّة فوق ظهره، وسكن عليها أربعين ألف سنة.

٢ - أول يوم خلق الله فيه هو يوم الأحد، وخلق فيه ملكاً اسمه عزرائيل وهو طاووس ملك رئيس الجميع.

٣ - ويوم الإثنين خلق ملك درداثيل وهو الشيخ حسن.

٤ - ويوم الثلاثاء خلق ملك إسرافائيل وهو الشيخ شمس.

- ٥ - ويوم الأربعاء خلق ملك ميكائيل وهو الشيخ بكر
- ٦ - ويوم الخميس خلق ملك جبرائيل وهو سجاد الدين.
- ٧ - ويوم الجمعة خلق ملك شمنائيل وهو ناصر الدين.
- ٨ - ويوم السبت خلق ملك نورائيل وهو فخر الدين.
- ٩ - جعل الله ملك طاووس رئيساً عليهم.
- ١٠ - بعده خلق صورة السبع سموات والأرض والشمس والقمر.

١١ - فخر الدين خلق الإنسان والحيوان والطير والوحوش ووضعهم في جيوب الخرقه، وطلع من الدرة، ومعه ملائكة، فصاح صيحة عظيمة على الدرة، فانفصلت وصارت أربع قطع، ومن بطنها خرج الماء، وصار بحرًا، وكانت الدنيا مدورة بلا تخلل.

١٢ - وخلق الله جبرائيل بصورة طائر، وأرسله، وبيده وضع أربع زوايا الأرض. ثم خلق مركبًا ونزل بالمركب ثلاثين ألف سنة، بعده جاء وسكن لاليش. ثم صاح في الدنيا فجمد الحجر، وصارت الدنيا أرضًا، وبدأت تهتز، فأمر جبرائيل على قطعتين من الدرة البيضاء، ووضع الواحدة تحت الأرض، والأخرى في باب السماء. فسكنت. ثم جعل فيها شمسًا وقمرًا؛ وخلق نجومًا من نثرات الدرة البيضاء، وعلقها في السماء للزينة.

١٣ - وخلق أشجاراً مثمرة ونباتات في الأرض والجبال،
لأجل زينة الأرض. ثم خلق العرش على الفُرش.

١٤ - أَلرب العظيم قال: يا ملائكة! أنا أخلق آدم وحواء،
وأجعلهم بشراً. ومنهم يكون من سرِّ آدم شهرين سفر. ومنه يكون
مَلّة على الأرض، ثم مَلّة عزرائيل، أعني طاووس مَلَك، وهو مَلّة
اليزيدية.

١٥ - ثم أرسل الشيخ عدي بن مسافر من أرض الشام وأتى
إلى لاليش.

١٦ - ثم نزل الربُّ إلى الجبل الأسود، وصاح، وخلق ثلاثين
ألف مَلَك، وفرّقهم ثلاث فرق، وبدأوا يعبدونه أربعين ألف سنة. ثم
أسلمهم إلى طاووس مَلَك، وصعد بهم إلى السموات.

١٧ - ثم نزل الرب في أرض القدس. ثم أمر جبرائيل جَلَبَ
تراب من أربع زوايا الدنيا. فجاء بترابٍ وهواء ونار وماء، فخلق من
كلِّ هذا آدم الأوّل، وجعل فيه روحاً من قدرته. وأمر جبرائيل أن
يُدخل آدم إلى الفردوس، ويأكل من كلِّ ثمر الشجر. أمّا من الحنطة
فلا يأكل.

١٨ - وبعد مائة سنة، طاووس مَلَك قال لله: كيف يكون يكثر
ويزيد آدم؟ وأين نسله؟ قال له الله: الأمر والتدبير سلّمته بيدك.
فجاء وقال لآدم: أأكلت حنطة؟ قال: لا، لأن الله نهاني. قال: كُلْ

يَصِيرُ لَكَ أَحْسَنَ. بَعْدَمَا أَكَلَ، حَالًا نَفَخَ بَطْنُهُ. فَأَخْرَجَهُ طَاوُوسٌ مَلَكٌ مِنَ الْجَنَّةِ، وَتَرَكَهُ وَصَعَدَ إِلَى السَّمَاءِ.

١٩ - فَتَضَايِقُ آدَمَ مِنْ بَطْنِهِ، لِأَنَّهُ مَا كَانَ لَهُ مَخْرَجٌ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ طَائِرًا فَجَاءَ وَنَقَرَهُ، وَفَتَحَ لَهُ مَخْرَجًا فَاسْتَرَحَ.

٢٠ - وَجِبْرَائِيلُ غَابَ عَنْ آدَمَ مِائَةَ سَنَةٍ، فَحَزَنَ وَبَكَى مِائَةَ سَنَةٍ.

٢١ - حِينَئِذٍ أَمَرَ اللَّهُ جِبْرَائِيلَ أَنْ يَخْلُقَ حَوَاءَ. وَخَلَقَ حَوَاءَ مِنْ تَحْتَ آبَاتِ آدَمَ الْأَيْسَرِ.

٢٢ - ثُمَّ نَزَلَ مَلَكُ طَاوُوسٍ إِلَى الْأَرْضِ لِأَجْلِ طَائِفَتِنَا الْمَخْلُوقَةِ، وَأَقَامَ لَنَا مَلُوكًا مَا عَدَا مَلُوكَ الْأَثُورِيِّينَ الْقَدَمَاءِ. نَسْرُوحُ وَهُوَ نَاصِرُ الدِّينِ. وَكَامُوشٌ وَهُوَ الْمَلِكُ فَخَرَ الدِّينَ، وَأَرْطِيمُوسٌ وَهُوَ مَلِكُ شَمْسِ الدِّينِ. وَبَعْدَ ذَلِكَ صَارَ لَنَا مَلَكَانِ: شَابُورُ الْأَوَّلُ وَشَابُورُ الثَّانِي. وَدَامَ مَلِكُهُمَا مِائَةَ وَخَمْسِينَ سَنَةً. وَمِنْ نَسْلِهِمَا قَامَ أُمَرَاؤُنَا إِلَى الْآنَ.

٢٣ - وَبَغَضْنَا الْأَرْبَعَ مَلُوكَ.

٢٤ - حَرَّمْنَا عَلَيْنَا الْخَسَّ، لِأَنَّهُ عَلَى اسْمِ أَنْبِيَائِنَا الْخَاسِيَّةِ وَاللُّوْبِيَاءِ وَالصَّبْغِ الْأَزْرَقِ. وَمَا نَأْكُلُ السَّمَكَ لِأَجْلِ احْتِرَامِنَا لِيُونَانَ النَّبِيِّ، وَالْغَزَالَ لِأَنَّهُ غَنَمُ أَحَدِ أَنْبِيَائِنَا. وَالشَّيْخَ وَتِلَامِذَتَهُ مَا يَأْكُلُونَ لَحْمَ الدِّيكِ إِحْتِرَامًا لَطَاوُوسِ مَلِكِ. وَطَاوُوسُ مَلِكٌ هُوَ وَاحِدٌ مِنْ

الآلهة السبعة المذكورة، لأنّ صورته تمثال الديك. والشيخ وتلاميذه
 ما يأكلون القرع. وحرام علينا البول وقوفاً، ولبس اللباس قعوداً،
 والاستخلاء في أدبخانة، والغسل في الحمام. وما يجوز أن نلفظ
 كلمة شيطان، لأنّه إسم إلهنا؛ ولا كلّ إسم يشابه ذلك، مثل: قيطان،
 وشطّ؛ ولا لفظة ملعون، لعنة، نعل. وما شابه.

٢٥ - قبل مجيء عيسى المسيح إلى هذا العالم، ديانتنا كانت
 تسمّى وثنيّة. واليهود والنصارى والإسلام ضاددوا ديانتنا،
 والعجم أيضاً.

٢٦ - وكان من ملوكنا آحاب. فأمر كلاً من كان ممّا أن
 يسمّيه باسم خاصّ به، فسمّوا إلهه آحاب، أو بعزبوب. والآن
 يسمّونه عندنا: بيربوب.

٢٧ - وكان لنا ملك في بابل إسمه بختنصر، وفي العجم
 أحشويرش، وفي قسطنطينيّة أغريقالوس.

٢٨ - إنّه قبل كون السماء والأرض، كان الله موجوداً على
 البحار، وكان قد صنع له مركباً، وكان يسير به في بينونات
 الأبحار، متنزّهاً في ذاته.

٢٩ - إنّه خلق منه درّة، وحكم عليها أربعين سنة. ومن بعد
 ذلك غضب على الدرّة ورفضها.

٣٠ - فيا للعجب العجيب، إذ صارت من ضجيجها الجبال،
ومن عجيجها التلال، ومن دخّانها السموات. ثمّ صعد الله في
السموات وجمّدها وثبّتها بغير عواميد.

٣١ - ثمّ قفل الأرض. ثمّ أخذ قلمًا بيده، وبدأ في كتابة
الخلق كلها.

٣٢ - ثمّ خلق ستة آلهة من ذاته ومن نوره، وخلقهم
صارت كما إذا أوقد إنسان سراجًا من سراج آخر.

٣٣ - فقال الإله الأوّل للثاني: أنا خلقت السماء فقط. إصعد
أنت إلى السماء، واخلق شيئًا، فصعد وصار شمسًا. وقال للآخر.
فصعد وصار قمرًا. والرابع خلق الفلك. والخامس صار نجم
الصبح. والسادس خلق الفراغ يعني الجوّ.

تمّ الكتاب

الملحق الثالث

نماذج من صلوات اليزيدية

لليزيديين الإيزيديين صلوات وأدعية يوجهونها إلى الله تعالى، يلتمسون رضاه ونعيمه، أسوة بباقي أبناء الديانات الأخرى التي تحيط بهم، ويتجهون بصلواتهم وأدعيتهم هذه نحو «إزداهي باك» أو «أزاده»، ومعناه «الذي خلقني» أو «خالقي».

وعلى اليزيدي أن يعبد «إزاده» ثلاث مرّات في اليوم على الأقل. وذلك عند شروق الشمس، وعند الظهر، وعند الغروب، قارئاً بعض الأدعية باللغة الكردية، ومتّجهاً باتجاه الشمس، لأنّه ينطلق من فكرة مهمة، وهي أنّ شروق الشمس هو الطريق الوحيد إلى بيت الله تعالى، وهي الاتحاد الأساسي للعبادة، كما يقول الباحث اليزيدي درويش حسّو^(٢). ويجزم السيد درويش بأن أدعية شروق الشمس والظهر والغروب، واجبة على كلّ يزيدي.

وهناك أيضاً «دعاء المنام»، وهو يُقال عندما يرقد اليزيدي في فراشه، حيث يتوجّب عليه قراءة هذا الدعاء.

وعندما يستيقظ من نومه، عليه أن يتلو «دعاء الإستيقاظ» ويسمى «دعاء الفجر».

ويضيف الأستاذ درويش: إنّ العقيدة اليزيدية لا تجبر اليزيدي على الصلاة في معابد خاصّة، لأنهم ينطلقون من فكرة شموليّة الكون ووحدة،

(٢) درويش حسّو، الازداهيون اليزيديون، ص ٨٥ - ٨٦.

وإنَّ الكونَ كُلَّهُ بيتُ الله تعالى، وإنَّ الله تعالى موجود في كلِّ بقعة من الأرض، وإنَّ بينهم وبين الله لا يوجد جدار^(٣).

بينما عبد الرزاق حسني فيؤكد عدم وجود صلاة لليزيديَّة، بالمعنى المعروف للصلاة، وإنَّما لهم صلاة خاصَّة لا يسمونها صلاة، غير أنَّهم يسمونها بذلك. وعدم استعمال الاسم لا يعدم المسمَّى. فكلُّ يزديّ متدين يتوجَّه عند شروق الشمس إلى مطلعها، كأبرز ظاهرة خلقها الله، وعند غروبها في مغيبها، يلثم الأرض، ويعفِّر وجهه بالتراب، ويدعو دعاء خاصًّا بلغة هي مزيج من العربيَّة والكردية والفارسيَّة^(٤).

والواقع، إنَّ لليزيديَّة، فيما عدا الشروق والغروب، أربعة أدعية هي :

الأول: «دعاء الصباح»، وهو طويل جدًّا، ولغته خليط من العربيَّة والكردية الفارسيَّة.

الثاني: «دعاء الأوغر»، وهو أطول من الأوَّل، ويتلونه بعد دعائي الشروق والصباح.

الثالث: «دعاء الغروب»، ويسمونه «دعاء الشمس»، ويتضمن ٥٣ بيتًا من الشعر، بين عربي وكردية وفارسية.

الرابع: «دعاء المساء»، ويسمونه «دعاء الشهادة» أيضًا. وهو ما يتلى وقت المنام، قائمًا أو جالسًا أو نائمًا^(٥).

(٣) درويش حسو الازدهايون اليزيديون، ص ٨٣.

(٤) عبد الرزاق الحسني، اليزيديون، ص ٨٣.

(٥) عبد الرزاق الحسني، اليزيديون، ص ٨٣، والدكتور خلق جراد، اليزيدية واليزيديون، ص ١١٤.

أما صلوات اليزيدية الأربع في الوقت الحاضر فهي هذه:

١ . صلاة الفجر

باسم الله «يزدان» المقدس الرحيم الجميل.
 إلهي لعظمتك ولقوامك وللوحياتك.
 يا ربُّ أنت الكريم الرحيم الإله.
 مُلكك ملك الدنيا.
 مملكة الأرض والسماء.
 مَلِكُ العرش العظيم.
 يا ربُّ إِنَّكَ أَزلي قديم.
 يا ربُّ إِنَّكَ حتى الأبد أمنية الروح.
 يا ربُّ إِنَّكَ ملك الأنس والجن.
 ملك الكرسي والعرش.
 يا ربُّ إِنَّكَ الصمدُ صاحب العطف.
 يا ربُّ إِنَّكَ أَنْتَ الصمد الحي الواحد القيوم.
 إِنَّكَ أَنْتَ الجدير بالمديح والثناء.
 يا ربُّ إِنَّكَ أَنْتَ ربُّ السماء، ربُّ الشمس والقمر.
 ربُّ الأنهر والوديان، يا ربُّ ربَّ العطاء
 يا ربُّ أَنْتَ لَنَا وَأَنْتَ المدد، أَنْتَ الصدى،
 أَنْتَ الملوّن، أَنْتَ الصوت، أَنْتَ المفيض.
 يا ربُّ إِنَّهُ لا يدري أَحَدٌ كيف أَنْتَ؟
 يا ربُّ أَنْتَ خالق الحوت ومعطي القوت.
 أَنْتَ الحلم والملكوت

يا ربُّ أنت خالق الفقراء والملوك
يا ربُّ أنت الدائم الموجود، أنت الدائم الموجود،
أنت دائم الوجود، أنت الدائم الوجود.

٢ . صلاة الإشراق

بإسم الله «يزدان» الرحيم الجميل.
يا ربُّ أنت الموجود وأنا المعدوم.
أنت غافر الذنوب.
أنت الإله الحقُّ مالك الكم والكيف.
لا قامة لك، لكنك رفيع.
لا صوت لك، لكن صوتك معروف.
مكانك في كل مكان.
أنت خالق العالم كله.
أنت الذي وهبت آدم.
أنت الذي خلقت الموسم.
أنت لا تتكلم يا ربُّ كما نتكلم نحن.
ولا تعمل مثلما نعمل.
أنت ولي فرض الصلاة يا ربُّ.
إنك تميز روحاً عن روح.
وأنت تنتزع الأرواح من الرؤوس.
أنت لست قليل الإدراك مثلما نحن.
أنت توحى للأرواح فتحلّ بالأجساد.
يا رب إنك أنت الإله.

أنت الملك، أعلم العلماء، ملك الملوك.
 لا تأكل، ولا تنام، ولا تصيح.
 أنت رب الحرم، ورب الحجاب، مكانك في كل مكان.
 أنت الإله وأنا المبتلي بالأسقام.
 إنك تشفي المرضى لأنك كفوء للمدح والثناء.
 لا يعرف أحد كيف أنت.

٣ . مقتطفات من صلاة الاموات

يا ابن آدم المسكين،
 يا ابن آدم الفقير،
 ما الدنيا إلا دار للسكاري،
 إنها مثل حلم الليالي،
 إنها مثل الفلك،
 إنها مثل الأشجار يلقي كل يوم جديدا...
 أين سليمان الحاكم^(٦)؟
 أين بلقيس التي ذاع اسمها؟
 لك البقاء يا رب.
 إنهم تركوا الدنيا...
 أين درويش حامل المسبحة والوقاص؟
 لك البقاء يا رب.
 يا ابن آدم لا تكن طمعا في هذه الدنيا،

لا تجمع المال والذهب جميعاً،
لم تدم الدنيا حتى لرسول الله.
أين حمزة؟
أين علي؟
أين الأولياء؟
أين الأنبياء؟
إنهم يرقدون في قبورهم كالمومياء.
الوف الحسرات والويلات والثبور
على عدم خلود ذوي الأخلاق الفاضلة والشفاه المعسولة، لكي
يحدثونا، لتنهمر دموعنا بغزارة. فالالم والبكاء لا يفيدان، والكفن والقبر هما
المكتوبان لنا.

٤ . مقتطفات من دعاء ما بعد الصلاة

أمين، أمين، أمين،
يا إله معين الدين،
يا إله إمنع الخير ورد الشر،
شمس الدين، فخر الدين، عماد الدين، ناصر الدين.
أيها الحق أنت ملك،
مالك الشمس والقمر،
ورازق الأنس والجن،
رب عالم القدس، خالق الأنس والجن،
يا شرف الدين صاحب الجدائل المقصودة،
تعال إلى كردستان بالبشرى.

انشر سَجْلُ الإيمان شيخ شمس يوم الإيزيدية،
شرف الدين أمير في الديوان.

٥ . صلاة الصباح

طلعت عليّ الشمس وجاء عليّ اثنان من الجلّادين.
فيا مسكين قم واشهد شهادة الدين.
وهي أن الله واحد والمُلك والشيخ هو حبيب الله.
وسلم سلاماً على الشيخ عدي وعلى أُمته والقبة الكبيرة الموجودة
تحتها، وعلى قبة الشيخ توريس، وعلى فخر الدين^(٧)، وعلى الشيخ والبير،
وعلى المزار دُبُرَاصور.
واشهد بأنه بقوة ذراع الشيخ^(٨) التي رفعها صار الناس يزيدية.
آمين^(٩).

٦ . دعاء الى الله تعالى

يا ربُّ علا شأنك وعلا مقامك.
يا ربُّ أنت الكريم وأنت الرحيم.
وأنت أهلُّ للمدح والثناء الدائمين.
يا ربُّ أنت الملك الكريم.

(٧) وهو إسم الشمس عندهم.

(٨) أي ذراع الشيخ يزيد.

(٩) بعد الصلاة، يُنصب حجر، هو الهيكل عندهم، ويلثمونه، ويدورون حوله.

وأنت مالك العرش العظيم.
يا ربُّ أنت القديم منذ الأزل.
أنت الكامل والتام.
يا رب دائماً أنت الإله^(١٠).

مما تقدّم، يتضح أنّ اليزيديّين يؤمنون بالله الواحد الأحد، ويعبدونه
موحّدين، خاضعين لمشيئته وقدرته التي لا تحدّ، مستسلمين لإرادته وقضائه
وقدره، واثقين من سعة رحمته، وعظيم عفوه، ويصلّون له داعين، مستغفرين
في أوقات منتظمة معلومة لديهم. وهم بذلك لا يخرجون بصورة عامّة عن
معنى الصلاة وجوهرها القائمين أساساً وخصوصاً على الدعاء والاستغفار.

هذه تجعلنا نقول إنّه أمرٌ يدحض تماماً المزاعم القائلة إنهم لا يمارسون
الصلاة: «ويقولون إنّ الصلاة بالقلب وبالسّر لذلك. لا يحددون مواعيد
وفرائض للصلاة، ولم يزل يضعوا لها نظاماً معيناً»^(١١).

(١٠) يدعون أنّه قول طاووس ملك، مترجم من كتاب «ثيزدياتي»، مقطع من
الصحيفة ٢٤.

(١١) هذا ما رده محمد سيّد كيلاني في دراسته عن اليزيدية، أو عبدة
الشیطان الملحقة بالجزء الثاني من كتاب «الملل والنحل»، ص ٣٨ من
الملحق، عن الدكتور خلف جراد، المصدر نفسه ص ١٤٦، حاشية ١٣.

جريدة المصادر والمراجع

١. البناء (هاشم)، اليزيديون، بغداد، ١٩٦٤، ١٩٩ ص.
٢. تيمور (أحمد باشا)، (ت ١٣٤٨هـ / ١٩٣٠م.)، اليزيدية ومنشأ نحلتهن، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٤٧هـ، ٤٨ ص.
٣. الحسن (عبد الرزاق)، اليزيديون في حاضرتهم وماضيتهم، مطبعة العرفان، صيدا، ط ١: ١٩٥١، ١١٢ ص.، ط ٥: ١٩٦٨، ١٩٦ ص.
٤. الدملوجي (صديق)، اليزيدية، مطبعة الاتحاد، الموصل ١٩٤٩، ٥٢٠ ص.
٥. زريق (الدكتور قسطنطين)، اليزيدية قديماً وحديثاً، لإسماعيل بك جول، حققه وقدم له ونشره، المطبعة الاميركية، بيروت ١٩٣٤، ١٥١ ص.
٦. العزاوي (الحامي عباس)، تاريخ اليزيدية وأصل عقيدتهم، مطبعة الفرات، بغداد ١٩٣٥، ٢٢٨ ص.
٧. حبيب (جورج)، اليزيدية، بقايا دين قديم، مطبعة دار المعارف، بغداد، ١٩٧٨.
٨. الديوه جي (سعيد)، اليزيدية، مطبعة جامعة الموصل ١٩٧٣.
٩. الأحمد (د. سامي سعيد)، اليزيدية، أحوالهم ومعتقداتهم، مطبعة الجامعة، بغداد، ١٩٧١.
١٠. الجندي (محمود)، اليزيدية، مطبعة التضامن، بغداد، ١٩٧٦.
١١. عبود (زهير كاظم)، لمحات عن اليزيدية، مكتبة النهضة، بغداد، ١٩٩٥.
١٢. التونجي (الدكتور محمد)، اليزيديون، واقعهم، تاريخهم، معتقداتهم، المكتبة الثقافية، بيروت، ١٩٩٩.

جريدة المصادر والمراجع ١٩١

١٣. جراد (الدكتور خلف)، أليزيديّة واليزيديّون، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، ١٩٩٥.

١٤. جعدان (خلف)، أليزيديّة، لا دار نشر، ١٩٦٦.

١٥. حسّو (درويش)، الإزدهايّون اليزيديّون، ألمانيا، بون، ١٩٩٢.

١٦. مطر (سليم)، أليزيديّة في وادي الرافدين، السويد، دار سرجون، ٢٠٠١.

١٧. ألالوسي (أبو الثناء شهاب الدين محمود ت ١٢٧٠هـ / ١٨٥٤م)، أليزيديّة (نشوة المدام في العود إلى مدينة السلام)، مطبعة الولاية، بغداد، ١٢٩٣هـ.

١٨. ألبعشيقي (القس اسحق)، أليزيديّة. أصل هذا الكتاب بالسريانيّة، وقد نقله إلى العربيّة الياس ضو شابا شكوانا الألقوشي سنة ١٩٣٢. منه نسخة بخط والدي الشماس بطرس متى قاشا، منقولة عام ١٩٤٨م ب ٥٨ صحيفة.

١٩. قاشا (الأب سهيل)، الإيزيديّة اليزيديّة، طرابلس، ٢٠٠٢.

٢٠. الصائغ (المطران سليمان)، تاريخ الموصل، المطبعة السليقيّة، القاهرة، ١٩٢٣.

٢١. أراهب بهنام الموصلّي السريانيّ اليزيديّ أصلاً الكاثوليكيّ مذهباً، مقالة في أليزيديّة (مخطوط بيد المؤلّف).

John S. Guest, **The Yezidis. A Study in Survival**; London and New York, 1987; 300 p.

Roger Lescot, **Enquête sur les Yezidis de Syrie et du Djebel Sindjar**, Mémoires de l'Institut Français de Damas; t. V.; Lib. du Liban; Beyrouth; 1975; 280 p.

فهرس الكتاب

٥	مقدمة
٧	الفصل الأول - واقع الإيزيدية
٣٣	الفصل الثاني - نشأة اليزيدية واسمها
٦١	الفصل الثالث - معتقدات اليزيدية وشرائعهم
٨٣	الفصل الرابع - مقدسات اليزيدية
١٠١	الفصل الخامس - الحياة الاجتماعية عند اليزيدية
١٢٩	الفصل السادس - الأصوام والأعياد والسناجق
١٥١	الفصل السابع - المجتمع اليزيدي
١٦٣	الفصل الثامن - التقاليد الشعبية لدى اليزيدية
١٦٩	الملحق الأول - نص كتاب «الجلوة»
١٧٥	الملحق الثاني - نص «مصحف رش»
١٨٢	الملحق الثالث - نماذج من صلوات اليزيدية
١٩٠	جريدة المصادر والمراجع
١٩٢	فهرس الكتاب